وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضرات في مقياس: مدخل إلى الأنثروبولوجيا

السنة الأولى علوم اجتماعية

إعداد الأستاذ: سفيان ميمون

السنة الجامعية : 2018- 2019.

فهرس المحتويات

مقدمة.....1

مفهوم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة (الإثنولوجيا –الإثنوغرافيا – الأركيولوجيا – اللغويات..) 2

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى.....6

1. علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء).....7
2. علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا.....8
3. علاقة الأثروبولوجيا بالفلسفة.....9
4. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع 9
5. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس.....11

التطبيقات الأنثروبولوجية قبل نشأة الأنثروبولوجيا.....12

1. في الحضارات القديمة.....13
2. عند اليونان 13
3. عند الرومان.....15
4. عند الصينيين.....16
5. العصور الوسطى في أوروبا.....16
6. الحضارة العربية الإسلامية.....17
7. أوروبا في عصر النهضة.....19
8. خلال عصر الأنوار.....20

نشأة الانثروبولوجيا.....21

أقسام الأنثروبولوجيا.....22

1. الأنثروبولوجيا الطبيعية.....22
2. الأنثروبولوجيا الاجتماعية (من علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا) 24
3. الأنثروبولوجيا الثقافية.....26

الأنثروبولوجيا : الموضوع والهدف.....28

موضوع الأنثروبولوجيا.....28

1. الثقافة.....29
2. البناء الاجتماعي.....34
3. نظام القرابة.....36

الهدف من الدراسة في مجال الأنثروبولوجيا.....38

خصائص الأنثروبولوجيا و أهميتها في العصر الحالي.....39

التيارات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا.....40

1. التيار التطوري.....41
2. التيار التاريخي 43
3. التيار الانتشاري.....44
4. التيار التناسقي التكاملي.....44
5. التيار البنائي الوظيفي.....45
6. تيار البنيوية الأنثروبولوجية.....46

الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال.....47

1. علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار.....48
2. الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال.....52
3. الممارسة الأنثروبولوجية في الجزائر بعد الاستقلال.....54

منهج البحث والتقنيات المستعملة في الأنثروبولوجيا.....55

مناهج البحث الأنثروبولوجي.....55

1. المنهج التاريخي.....56
2. المنهج المقارن 57
3. المنهج البنائي الوظيفي.....58
4. الإثنية المنهجية.....59

تقنيات البحث الميداني.....60

1. الملاحظة بالمشاركة.....61
2. المقابلة.....62
3. سيرة الحياة.....62
4. الاختبارات النفسية.....63

خاتمة.....65

مقدمة :

تتبوأ الأنثروبولوجيا كعلم حديث النشأة مكانة كبيرة بين العلوم اليوم، نظرا لما تتميز به من خصائص، ولما تتمتع به موضوعاتها من جاذبيةإ غراء خاصة أن موضوع الدراسة الأساسي هو الإنسان في صوره الثقافية المختلفة وأنماطه التفاعلية المتعددة، فلقد كان الإنسان المختلف عن "إنسان المركز" (الإنسان الأوروبي) هو الذي هيأ الأساس الأول لعلم الإنسان، حيث كان هاجس تكوين معرفة بأولئك البرابرة والهمج والذين لم يعرفوا للحضارة سبيلا بعد، هو المسيطر على عقول الباحثين الأوائل في مجال الأنثروبولوجيا، هذا الذي يدل على أن الأنثروبولوجيا نشأت في سياق حملات الاستعمار للبلدان والشعوب الأخرى حيث مثلت بامتياز الدرع الأيديولوجي الذي رافق السيف والبندقية خلال حملات السيطرة على الشعوب والأوطان، لكن هذا لم يمنع الأنثروبولوجيا كعلم من التطور في جانبيها النظري والمنهجي خاصة مع زيادة الاهتمام بها من الناحية الأكاديمية فأصبحت لا تختلف عن باقي العلوم الأخرى الطبيعية منها والاجتماعية، بل وتتعداها خاصة عند التركيز على بعض المواضيع الجوهرية التي تتصل بالجانب الرمزي والأخلاقي.

وسنحاول من خلال هذه المطبوعة أن نلقي الضوء على بعض الجوانب الأساسية لهذا العلم بغية إيضاح ماهيته وموضوعه وطريقة عمله، هذا الذي سنتطرق إليه من خلال بعض العناصر التي بدت لنا جوهرية في هذا السبيل مثل توضيح المقصود بمفهوم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة منه، وكذلك علاقة الأنثروبولوجيا بالعديد من العلوم الطبيعية منها والاجتماعية والتي ساهم بعضها بشكل واضح في إرساء دعائم هذا العلم ومنها على وجه الخصوص البيولوجيا من ناحية العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع من ناحية العلوم الاجتماعية.

كما سنحاول أيضا استقصاء وتتبع الممارسة الأنثروبولوجية خلال مختلف العصور قبل النشأة العلمية وصولا إلى مرحة النشأة خلال القرن التاسع عشر محاولين في السياق ذاته إلقاء الضوء على مختلف التيارات والنظريات والمناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية بعد استوائها كعلم قائم بذاته وطبيعة الموضوعات التي تشكل جوهر الدراسة الأنثروبولوجية.

مفهوم الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة(الإثنولوجيا – الإثنوغرافيا – الأركيولوجيا – اللغويات..)

يشير مصطلح أنثروبولوجيا (anthropologie)إلى علم الإنسان، فالمصطلح "منحوت من كلمتين (يونانيتين) هما anthropos (إنسان) و logos (علم)، وتعنيان معا (علم الإنسان) "[1]، أي العلم الذي يدرس الإنسان، وكلمة إنسان هنا مطلقة لذلك كان هذا العلم شاملا في دراسته لمختلف الجوانب التي تشكل الإنسان، ولهذا نجد سليم شاكر يضيف إلى تعريف الإنثروبولوجيا من الناحية الاصطلاحية تعريفا آخر أكثر عمقا وأوسع شمولا فيقول عن الأنثروبولوجيا بأنها: " علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا "[2].

وبقدر ما اختصر سليم شاكر تعريفه بقدر ما كان ملما بالجوانب التي يتناولها هذا العلم، فعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) يتناول بالدراسة الجانب التطبيقي والبيولوجي للإنسان باعتباره كائنا عضويا، فيصف تركيبته العضوية في الحاضر والغابر، ويقارن بين الخصائص الطبيعية لإنسان اليوم مع إنسان الحضارات القديمة.

والأمر نفسه ينطبق على الجانب الاجتماعي والحضاري، ففي الجانب الاجتماعي نجد الأنثروبولوجي يركز على البناء الاجتماعي محاولا فهم مختلف البنيات المكونة له والتي تتجسد في مختلف النظم والمؤسسات الاجتماعية كنظام الأسرة والاقتصاد والدين والقرابة والزواج...الخ، فهذه النظم المشكلة للبناء الاجتماعي هي الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا في جانبها الاجتماعي، أما الجانب الحضاري (الثقافي) فهو يشير إلى اتجاه الأنثروبولوجي إلى محاولة فهم ثقافة الشعوب بوصفها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر.

ويقترب هذا التعريف من تعريف إدوارد تايلور الذي يرى أن الأنثروبولوجيا هي " الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان "[3]، هذا الذي يدل على أن الأنثروبولوجيا تجمع بين الدراسة

---

[1] - سليم شاكر – **قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي، عربي)** – جامعة الكويت- ط1-1981-ص 56

[2] - **نفس المرجع** – ص 52.

[3] - عيسى الشماس – **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004- ص8.

البيولوجية والثقافية للإنسان، مع وجود علاقة بين هذين الجانبين حيث تتأثر الجوانب البيولوجية وتأثر في النواحي الثقافية من تعليم وتنشئة اجتماعية وطريقة تفكير ونمط سلوك. ..الخ.

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة محددة " [1]، بما يسمح لهذا الإنسان بالتفاعل معه أفراد المجتمع في ظل النظم المختلفة التي تسوده، وبما يسمح كذلك بأن يعمل على إنتاج ثقافة معينة والخضوع لها في نفس الوقت، هذه التي تتبدى في مختلف السلوكات والتصرفات والعادات والتقاليد ومختلف أنماط التفكير وأساليب الإنتاج. .الخ.

والتي تشكل في الأخير موضوعات أساسية للدراسة في مجال علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ولتقريب النظر أكثر نورد ما قالته الأنثروبولوجية الأمريكية " مارغريت ميد" حول مجال عمل الأنثروبولوجي : " نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنلوجيا، ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. " [2]، من خلال هذا الوصف الذي قدمته مارجريت ميد يبدو أن الأنثروبولوجيا هي أحد فروع الدراسة التي تهتم بوصف الإنسان في جانبه البيولوجي من جهة والاجتماعي والثقافي من جهة ثانية، مع اعتبار عمليات التفاعل التي تحدث بين هذين الجانبين، وكذلك عمليات التفاعل التي تحدث داخل أحد هذين الجانبين منفردا، وهذه العملية أيضا ووفقا للوصف الذي قدمته " ميد" لا تخلو من عملية مقارنة، فالوصف يتضمن المقارنة بين مختلف الجوانب الموصوفة (عادات، سلوكات، خصائص بيولوجية. .الخ)، وكل هذا يتم بأسلوب علمي حيث ثمة أدوات قياس علمية لتناول موضوعات هذا العلم.

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 7.

[2] - حسين فهيم – **قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان** – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- عدد98 فبراير 1986- ص 14.

ورغم وضوح مفهوم الأنثروبولوجيا إلا أن استخداماته تختلف من بلد لآخر ومن مدرسة لأخرى، ففي أمريكا نجد استخدامين أساسيين هما : [1]

1- **الأنثروبولوجيا الجسمية (الفيزيقية):** وتشير إلى دراسة الجانب العضوي والحيوي للإنسان.
2- **الأنثروبولوجيا الثقافية** : وتشير إلى مجموعة التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان.

ويدخل في نطاق الأنثروبولوجيا الثقافية مجموعة من الفروع الدراسية وهي: [2]

1- **علم الآثار** (archéologie) : وهي تلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم (حضارات ماقبل التاريخ).
2- **علم اللغويات** (linguistiques) : وتعنى بدراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة.
3- **الإثنوغرافيا** (ethnographie) : ويشير إلى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة.
4- **الإثنولوجيا** (ethnologie) : وتشير إلى الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، بغرض الوصول إلى تعميمات حول مختلف النظم وأصولها وتطورها وتنوعها. .الخ.

وفي مقابل مفهوم " أنثروبولوجيا ثقافية " الذي يتداوله الأمريكيون يستخدم الأنجليز مصطلحا آخر هو مصطلح " الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، فمهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثلما يرى إيفانز بريتشارد " أنها تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي و الإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات " [3]، نفهم من هذا أن

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 14.
[2] - **نفس المرجع** – ص 14- 15.
[3] - **نفس المرجع** – ص16.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية كمفهوم أساسي في التعبير عن الجانب الاجتماعي والثقافي لدى الأنجليز لا يدرج علم اللغويات أو علم الآثار مثلما هي الحال في الأنثروبولوجيا الثقافية لدى الأمريكيين، ولكن التركيز منصب على ماهو اجتماعي، فوحدة التحليل الأساسية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي المجتمع، أي العلاقات الاجتماعية التي تشكل مختلف النظم والأنساق الاجتماعية وليست الثقافة وأجزاؤها كما ينظر إلى ذلك الأمريكيون.

إن التركيز على قضية النظم الاجتماعية ينتج تخصصات أنثروبولوجية بعدد هذه النظم ذاتها فيكون لدينا مثلا :

نظام ديني ⟸ أنثروبولوجيا دينية

نظام تربوي ⟸ أنثروبولوجيا تربوية

نظام سياسي ⟸ أنثروبولوجيا سياسية

نظام ثقافي ⟸ أنثروبولوجيا ثقافية

ويبدو أن الاختلاف في تحديد التسمية هو اختلاف شكلي، فكل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأنثروبولوجيا الثقافية تؤولان إلى نفس المواضيع خلال عملية الدراسة، وقد كان الاختلاف مؤسسا مثلما يرى كلود ليفي ستروس على اعتبارات أكاديمية، مثلما هو الحال بالنسبة لمفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي تأصل في أنجلترا لضرورة إحداث كرسي جديد تولاه جيمس فرايزر، كما أن الاختلاف بين ماهو " اجتماعي " وماهو "ثقافي " ليس كبيرا. [1]، حيث يؤدي ماهو اجتماعي إلى ماهو ثقافي والعكس، من منطلق أن ماهو اجتماعي يتصور موضوعه قائما في البنية الاجتماعية الكلية التي تتفكك إلى عناصر ثقافية مكونة لها، وماهو ثقافي ينطلق من هذه العناصر الثقافية (سلوكات – عادات – وسائل...الخ) وصولا إلى البنية الكلية للمجتمع.

---

[1] - كلود ليفي ستروس – **الأنثروبولوجيا البنيوية** – ترجمة مصطفى صالح – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ج1- 1977- ص 9-10.

وعلى هذا الأساس تتأسس كل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية والانثروبولوجيا الثقافية وتحددان منطلقهما الأساسي، فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تنطلق في العمل بدءا من الكل (البنية الاجتماعية) أو على الأقل إعطاء الأولوية للكل على الأجزاء مقابل الأنثروبولوجيا الثقافية التي تعمل عكس ذلك حيث تعطي الأولوية للأجزاء (العناصر المادية والمعنوية للثقافة كاللباس والسلوك والعادات والمنتجات...الخ) لتصل إلى فهم البنية الكلية للمجتمع. [1]

وبالإضافة إلى هذين التسميتين يميل الفرنسيون أكثر إلى استخدام مصطلح "إثنولوجيا " وأحيانا " إثنوغرافيا" للتعبير عن الجانب الثقافي ويدرسونه تحت مظلة علم الاجتماع، كما تستخدم كلمة " انثروبولوجيا في ألمانيا للإشارة إلى " الدراسة الطبيعية للشعوب " وتستخدم بدلها كلمة " إثنولوجيا " لتشير إلى " علم الشعوب" أي إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية في الإنسان، كما يشيع في معظم دول شرق أوروبا مصطلح " إثنوغرافيا " للدلالة على الجانب الاجتماعي والثقافي المتصل بالتنظيم الاجتماعي ومشكلة العرق والطبقات. ..الخ. [2]

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

هناك علاقة وطيدة بين علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبيعية، فشمولية الدراسة في مجال الأنثروبولوجيا وتغطيتها للعديد من المجالات جعلها تتقاطع مع حقول معرفية أخرى تتقاسم معها المجالات ذاتها، أو تتبادل معها المعلومات والمعارف التي يوفرها فرع معرفي معين بمثابة قاعدة وأساس للانطلاق في الدراسة بالنسبة لفرع معرفي آخر، ذلك ما يبدو مثلا في اعتماد الباحث الأنثروبولوجي على ما يوفره عالم الآثار من معلومات على الشعوب الغابرة، ولبيان العلاقة بين الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم نحاول إيراد بعض الأمثلة على ذلك.

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 10- 11.

[2] - حسين فهيم – **نفس المرجع** – ص 16- 17.

1- علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء)

هناك تداخل واضح بين الأنثروبولوجيا والبيولوجيا، ومرد هذا التداخل على وجه الخصوص إلى اعتماد الأنثروبولوجيا حين نشأتها على نظرية التطور البيولوجي التي تزعمها " تشارلز داروين"، والعمل على وصف الثقافة والمجتمع من منطلق هذه الخلفية التطورية.

لقد كان هربرت سبنسر رائدا لهذا النزعة التطورية حيث ماثل بين تطور الكائن الحي وتطور المجتمع البشري، متأثرا بنزعة التطور في البيولوجيا، فنمو جسم الإنسان ينطلق من خلية ثم ينمو ليصبح جسما مكتملا مشكلا من العديد من الأعضاء التي تؤدي وظائف تحفظ توازن واستمرار الإنساني بما يشبه تماما نمو المجتمع البشري الذي يبدأ بأسرة ثم يتوسع إلى عشائر وقبائل تشكل مجتمعا كبيرا. [1]

ويعزي البعض بداية الأنثروبولوجيا المتخصصة إلى هذا التماثل بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي، وقد أدى الربط بين البيولوجيا والأنثروبولوجيا وخاصة في جانبها الفيزيقي إلى تسمية الأنثروبولوجيا البيولوجية ب" البيولوجيا الإنسانية "، بالإضافة إلى هذا نجد أن الرجوع إلى البيولوجيا بالنسبة للأنثروبولوجيين قد ساعد كثيرا في فهم الأسس البيولوجية للسلوك الثقافي للإنسان. [2]

أما فيما يخص موضوع كل منهما فإنهما يشتركان في العمل على فهم التنوع والاختلاف، فإذا كان موضوع البيولوجيا يركز على محاولة فهم التنوع والاختلاف الجيني، فإن محاولة فهم الاختلاف الاجتماعي هو المقصود من الدراسات الأنثروبولوجية، [3] كما يمكن لموضوع السلالة والعرق أن يوحد بين البيولوجيا والأنثروبولوجيا من خلال عملية التصنيف وتحديد الخصائص البيولوجية والثقافية لهذه السلالات والأعراق.

---

[1] - عامر مصباح – **المدخل إلى الأنثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – ط1- 2010- ص 24.

[2] - يحي مرسي عيد بدر – **أصول علم الإنسان – الأنثروبولوجيا** –ج1- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط1 - 2007- ص 45-46.

[3] - عيسى الشماس – **مرجع سابق** – ص 30.

2- علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا :

تساعد الدراسات في مجال الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها الإنسان، وذلك بتتبع البقايا العظمية لإنسان ما قبل التاريخ، التي يتم الحصول عليها في ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضدة بعضها فوق بعض، وفقا لخاصية النشوء والتقادم حيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها، كما يمكننا هذا أيضا من معرفة طبيعة الحيوانات التي كانت مرافقة لذلك الجنس البشري من خلال البقايا العظمية للحيوانات التي كانت ترافقه في نفس البيئة الجغرافية. [1]

ويعمل الجيولوجي على تزويد الأركيولوجي (عالم الآثار) بعمر الأشياء التي يعثر عليها، فالجيولوجي يستطيع أن يحدد بعض البقايا الثقافية التي يعثر عليها في بعض الشقوق الأرضية أو في بعض الترسبات أو في بعض الطبقات الأرضية التي تنتمي إلى عصر جيولوجي معين، [2] ويستفيد الأنثروبولوجي من المعلومات التي يقدمها الجيولوجي أو الأركيولوجي من خلال تكوين معرفة بالإنسان القديم ومقارنة خصائصه الفيزيقية والثقافية بالإنسان الحالي، وكذلك من خلال رصد مختلف المراحل التطورية للجنس البشري.

بالإضافة إلى استفادة الأنثروبولوجي من الجيولوجي تشكل المعطيات الجغرافية خلفية أساسية في تفسير الأنثروبولوجي للسلوك البشري ولعادات وطبائع الأفراد والجماعات، فالعوامل الجغرافية من تضاريس ومناخ وبيئة. .الخ لها تأثير واضح على سلوك البشر، لذلك نجد، " الأحوال المعيشية والبنى الاجتماعية عند المجتمعات البشرية ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد في تلك المجتمعات، فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن عن الأخطار الخارجية بينما يتعرض سكان السهول دوما إلى غزوات واجتياحات. .، وفي المقابل يكون سكان المناطق الساحلية أكثر انفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي. ." [3]، ويمكن الرجوع

---

[1] - **نفس المرجع** – 46.
[2] - يحي مرسي عيد بدر – **نفس المرجع** – ص 46.
[3] - عيسى الشماس **- نفس المرجع** – ص 36.

في هذا إلى نظرة ابن خلدون في ربطه بين البيئة والسلوك الإنساني حيث تؤدي البيئة والتضاريس إلى تشكيل نوع معين من السلوك.

3- علاقة الأثروبولوجيا بالفلسفة :

إذا كانت الفلسفة كما يرى أرسطو هي " علم المبادئ والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا " فإنها تشترك مع الانثروبولوجيا في عملية البحث عن الحقيقة، هذه التي تتمثل على وجه العموم في محاولة معرفة طبائع الأشياء وحقائق الموجودات والأسباب التي أدت إلى وجودها، كما تشترك الفلسفة مع الانثروبولوجيا فيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة وتفكيره الدائم في الوجود وما وراء الوجود، وكذلك فإن اشتراك الفلسفة والأنثروبولوجيا قائم في البحث الدائم لمعرفة أصل الإنسان ونشأته وقضايا الحياة والموت والتدين. .الخ. [1]

غير أن اشتراك الفلسفة مع الأنثروبولوجيا في عملية البحث عن حقيقة الأشياء لا ينفي اختلافهما في المنهج الذي يتبعه كلا الفرعين المعرفيين في الوصول إلى هذه الحقيقة، فالفلسفة ذات منهج عقلي ترمي إلى تحصيل معارف ومعلومات من خلال عملية التأمل وبالرجوع إلى العقل وحده، أما الانثروبولوجيا فتخالف ذلك تماما، إذ تؤسس أبحاثها على البحث الحقلي الميداني، لكن هذا لاينفي اعتماد الأنثروبولوجي على العقل خاصة في بناء مناهج وتقنيات البحث، وتحليل وربط المعطيات بعضها ببعض، والقيام باستنتاجات عقلية في الوقت المناسب.

4- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع :

هناك علاقة وطيدة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع فكلاهما يتناول السلوك الإنساني بالدراسة، كما يركزان على عمليات التفاعل التي تحدث بين أفراد المجتمع واتخاذ العلاقات الاجتماعية التي تحدث داخل جماعة معينة محلا للملاحظة من قبل السوسيولوجي والأنثروبولوجي على سواء، وكذلك الاهتمام بالنظم الاجتماعية المختلفة مثل النظام الديني والنظام السياسي

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 33-34.

والنظام الاقتصادي. .الخ، هذا ما جعل أحد رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية وهو رادكليف براون يصرح بأنه يمكن اعتبار الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرعا من فروع علم الاجتماع، بل وقد اعتبرها بمثابة علم الاجتماع المقارن.

غير أن الأنثروبولوجيا في عمومها باعتبارها تتناول الإنسان بالدراسة من كل جوانبه الطبيعية والاجتماعية والثقافية أشمل نوعا ما من علم الاجتماع الذي يركز اهتمامه على الجانب الاجتماعي والثقافي فقط، بينما تشكل مباحث الانثروبولوجيا الفيزيقية إضافة قيمة لمجال الأنثروبولوجيا على وجه العموم.

ويبدو الاختلاف قائما بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع في تركيز الانثروبولوجيا على دراسة المجتمعات التي تسمى " بدائية " وبالمقابل اهتمام علم الاجتماع بالظواهر والمشكلات الاجتماعية داخل المجتمعات المعقدة، هذا الذي جعل الانثروبولوجيا تتناول المجتمعات المدروسة في كليتها باعتبارها مجتمعات صغيرة الحجم، فتتناول مثلا نظامها الديني والقرابي والسياسي وتغوص في تحليل عاداتها وتقاليدها وأنماطها السلوكية وأشكالها التعبيرية. .الخ، وفي المقابل كان اتجاه علم الاجتماع نحو دراسة المجتمعات المعقدة كنوع من التناول الجزئي للمشكلات والظواهر مثل مشكلات الأسرة والطلاق والجريمة والبطالة. .الخ.

غير أننا اليوم بصدد نوع من التقارب بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع فقد ضاقت الحدود بينهما وتلاشت الفروق إلى حد لم فيه التفريق واردا في كثير من المواضع، فقد تقلص اهتمام الأنثروبولوجيين بتلك المشكلات التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية كدراسة نظم الزواج والشعائر الدينية المرتبطة بالطوطم، وأصبحت هناك دراسات انثروبولوجية حقلية لكثير من مشكلات المجتمع الصناعي كمشكلة الهجرة والصراع العرقي والتنمية الاجتماعية والانحراف والتربية. .الخ، وبالمقابل هناك مزيد من الاهتمام في الدراسات السوسيولوجية بالمجتمعات المحلية الصغيرة ونظمها الاجتماعية، ولعل مساهمات علم الاجتماع الريفي خير دليل على ذلك. [1]

[1] - محمد عبده محجوب – **الاتجاة السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع** – وكالة المطبوعات – الكويت – دون سنة نشر – ص 122- 123.

ومن الخصائص الأساسية للبحوث السوسيولوجية التقليدية اعتمادها على المعلومات الكمية عند عملية التحليل والمقارنة في مقابل البحوث الأنثروبولوجية التي تميزت باعتمادها على البحوث الكيفية التي تستند بوجه خاص إلى تطبيق تقنية الملاحظة بالمشاركة، غير أن الأمر أصبح مختلفا اليوم في ظل الاتجاه المتزايد للأنثروبولوجيين نحو استخدام الأساليب الإحصائية، هذا الذي يزيد من تقارب الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع إلى الحد الذي يجعل التفريق بين الدراسات في كلا الحقلين المعرفيين أمرا صعبا. [1]

بالإضافة إلى هذا تتميز الدراسات الأنثروبولوجية عن غيرها من الدراسات التي تتناول الظواهر والنظم الاجتماعية بأنها دراسات حقلية (ميدانية) حيث يقيم الباحث بين الجماعة التي يدرسها لفترة زمنية محددة حددها بعض العلماء بأنها لا تقل عن سنة حتى يستطيع أن يلاحظ عن قرب طريقة حياة هذه الجماعة، غير أن الدراسة الحقلية لا تقتصر على المجتمعات التقليدية ولكنها ضرورية أيضا عند دراسة الأنثروبولوجي للمجتمع الصناعي مثلا. [2]

5- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس :

يهتم علم النفس بدراسة الأفراد بوصفهم وحدات مستقلة قائمة بذاتها، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض الجوانب مثل الدوافع والاتجاهات والذكاء والشخصية. .الخ، عكس الأنثروبولوجيا التي تهتم بالسلوك الجمعي ولا تركز اهتمامها على الأفراد. [3]

وتعتبر الثقافة الموضوع الأساسي الذي تسعى الأنثروبولوجيا إلى فهمه، غير أن هذا الفهم غير متاح دائما من خلال تفسير الثقافة في ذاتها، لذلك نجد علماء الأنثروبولوجيا يرجعون إلى علم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية، ويرتبط هذا الاتجاه بالإثنولوجيا وهو اتجاه قديم ظهر في كتابات عدد كبير من علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ممن كانوا يلجؤون إلى الاستبطان لمعرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وخاصة ما يتعلق بالدين والشعودة والسحر والأساطير، وفي هذا السياق كان مالينوفسكي يرى أن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 123.
[2] - **نفس المرجع** – ص 131.
[3] - يحي مرسي عيد بدر- **نفس المرجع** – ص 61.

بشدة الانفعالات مثل حالات الوفاة، لذلك يصبح الدين بمثابة وسيلة للسيطرة على تلك الأزمات. [1] أي أثر العادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التنشئة في تشكيل شخصيات الأفراد، وبالمقابل أثر الشخصية في الثقافة من خلال الأدوار التي يؤديها القادة وأصحاب " الكاريزما" في توجيه الثقافة السائدة، وذلك بما يتمتع به هؤلاء القادة من أفكار وأيديولوجيا وقوة. .الخ. [2]

وأخيرا فإن الأنثروبولوجيا تمتد لتربط خيوطها مع كثير من الفروع المعرفية، وهي ذات صلة وثيقة بكثير منها، فهي ترتبط بالتاريخ والسياسة والتربية والاقتصاد وغيرها، ولكننا اقتصرنا على بعض الفروع لبيان بعض أوجه الاعتماد المتبادل بين الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم وفروع المعرفة الأخرى.

التطبيقات الأنثروبولوجية قبل نشأة الأنثروبولوجيا

يحاول المختصون في كل علم أن يجدوا تأسيسات تاريخية يصنفونها كبوادر أولى في سياق نشأة العلم الذي يصفونه ويمارسونه، وللانثروبولوجيا كعلم حديث النشأة بوادر غابرة في التاريخ، حيث نجد الكثير من صفات الأنثروبولوجيا الحديثة لدى مفكري وكتاب وشعراء الأزمنة القديمة، وفي مختلف المجتمعات والحضارات، فمن الحضارة المصرية إلى اليونانية إلى العصور الوسطى ثمة ممارسات أنثروبولوجية، وتنظيرات تتصل بالفكر الانثروبولوجي وا ٍن لم تسم، ذلك أن الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته لم يتبلور إلا خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ورغم هذا فإننا نجد في وصف ثقافات الشعوب وأنماط حياتها ومقارنة هذه الأنماط بعضها ببعض من خلال عمليات الغزو والرحلات المختلفة في مختلف العصور ما يمكن اعتباره بوادر لنشأة الأنثروبولوجيا بمعناها المعاصر، فقد سوغت عمليات الغزو والارتحال عمليات اتصال الشعوب بعضها ببعض بما جعل هذه الشعوب تشكل معرفة بالشعوب الأخرى في عاداتها وتقاليدها ولغتها ونظمها الاجتماعية. ..الخ.

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 62.
[2] - **نفس المرجع** – ص 64.

1- في الحضارات القديمة:

يرى "مودوي" أن أقدم رحلة على الإطلاق هي تلك التي قام بها المصريون عام 1493 قبل الميلاد نحو الجنوب عبر نهر النيل بأسطول مكون من خمسة مراكب وعلى رأس كل مركب واحد وثلاثون فردا، لقد كان الهدف من هذه الرحلة هو تسويق البضائع المتمثلة في البخور والعطور، لكن هذه الرحلة أفضت إلى اتصال المصريين بأقزام إفريقيا وإقامة علاقات معهم، وقد بدا ذلك من خلال تصوير بعض الصفات الجسمية لهذه الشعوب في بعض الآثار والنقوش. [1]

2- عند اليونان :

وإذا رجعنا إلى الحضارة اليونانية القديمة (الإغريقية) فإنا نجد فيها بوادر واضحة مهدت لعلم الإنسان، فأفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة ذائعي الصيت قدموا إسهامات واضحة كانت قاعدة أساسية لكل العلوم الاجتماعية والإنسانية، ومنها الأنثروبولوجيا، وقد حاول أفلاطون(428-347 ق م) خاصة في كتابه "الجمهورية" أن يقدم صورة عن الكيفية التي " يجب" أن يكون عليها المجتمع، ذلك ما جعل أفكاره محل انتقاد كبير باعتبارها تأملات لما يجب أن يكون وليس تصويرا لما هو كائن، غير أن هذه الأفكاروا إن كانت تعكس تصورات مثالية إلا أنها تستند إلى الواقع الذي كان يحياه أفلاطون، والأحداث والتغيرات السائدة في مجتمع أثينا، فالدافع لهذه التصورات هو " تلك الأزمات السياسية والحروب واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة " [2].

ويمكن الحديث أيضا عن حوارات أفلاطون أو عن مجادلات سقراط مع السفسطائيين لا باعتبارها مناظرات فكرية متعالية عن الواقع، بل باعتبارها في حد ذاتها وقائع دالة على الحياة اليومية في صورتها الثقافية داخل دولة المدينة. [3]

ولا يختلف أرسطو عن أفلاطون حيث قدم إسهامات واضحة في تصنيف ووصف الحكومات بما يمهد لدراسة النظام السياسي كأحد أهم النظم الاجتماعية في الدراسات الانثروبولوجية، إضافة

---

[1] - حسين فهيم – **مرجع سابق** – ص 34.

[2] - **نفس المرجع** –ص 38.

[3] - توماس هايلاند إيركسون و فين سيفرت نيلسون – **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية** – ترجمة لاهاي حسين – منشورات ضفاف، العراق – والاختلاف، الجزائر – ط 1 - 2013 ص13.

إلى اتجاه أرسطو إلى تناول " الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك منة خلال ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان " [1]

إن المهتمين بالأنثروبولوجياوا إن أعطوا أهمية معتبرة لأفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة اليونان، فإنهم يقدمون المؤرخ " هيرودوت " (484- 425 ق.م) ويعتبرونه أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ.

لقد قدم هيرودوت وخاصة في كتابه" التواريخ" معلومات وصفية دقيقة عن العديد من الشعوب غير الأوروبية، من خلال وصف عاداتها وتقاليدها وملامحها الجسمية وأصولها السلالية. .الخ، كما عمل على وصف الحرب التي دارت بين الفرس والإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد، ومن خلال رحلاته المتعددة وقراءاته الغزيرة استطاع هيرودوت أن يقدم معلومات عن حوالي خمسين شعبا وبأسلوب يزاوج بين الوصف والمقارنة. [2]

يسهب هيرودوت في وصف مصر وعاداتها وتقاليدها مقارنا إياها بغيرها من البلاد، ويرجع هذا الإسهاب في وصف البلاد المصرية وشعبها إلى الأهمية التي تكتسيها هذه المنطقة من حيث المناخ ووجودها على ضفاف النيل، ذلك ما جعل شعبها مختلفا عن باقي الشعوب الأخرى، ومن الأمثلة التي يضربها هيرودوت عن الإختلافات الحاصلة بين شعب مصر وغيره من الشعوب ما جاء في هذه الفقرة التي ضمها كتابه " التواريخ" : " وفي غير مصر يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها، ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، يطلقون شعر الرأس واللحية " [3]، ويمضي هيرودوت في عملية المقارنة فيقول :" ويسكن سائر الناس في عزلة عن الحيوانات، أما المصريون فيسكنون مع حيواناتهم، ويعيش الآخرون من الناس على القمح والشعير، ولكنه عار عظيم على من يعيش عليها من المصريين، إذ هم يصنعون خبزهم من الذرة، وهم يعجنون العجين

---

[1] - حسين فهيم – **نفس المرجع** – ص38.
[2] - **نفس المرجع** – ص34.
[3] - **نفس المرجع** – ص35.

بأقدامهم، فأما الطين فبالأيدي، وبها أيضا يرفعون الروث، وأعضاء التناسل يتركها عامة الناس على طبيعتها أما المصريون ومن أخذ عنهم فيمارسون الختان." [1]

كما عمد هيرودوت إلى وصف عادات أهل ليبيا وطريقة الأكل لديهم، كما تطرق أيضا إلى كيفية انتقال هذه العناصر والسمات الثقافية وتداولها بين الشعوب، وفي هذا الشأن يذكر هيرودوت أن بعض عناصر الثقافة المتداولة لدى الليبيين أخذها عنهم الإغريق خاصة ما يتعلق باللباس والغناء وقيادة العربات، وفي هذا يقول هيرودوت :" يبدو أن ثوب ودرع وتماثيل أثينا نقلها الإغريق عن النساء الليبيات. ..وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي فيما أظن ظهر أولا في ليبيا، فإن نساء تلك البلاد يغنين غناء شجيا، ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة. " [2]

إن الذي يعطي قيمة لعمل هيرودوت هو اقتراب طريقته المستندة إلى الوصف و المقارنة من الطريقة المتعارف عليها اليوم لدى الأنثروبولوجيين، والتي تستند إلى رصد الخصائص المختلفة للشعوب والأعراق بملاحظتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر في سياق حقلي واقعي، ذلك الذي يقترب مما يعرف لدى الأنثروبولوجيين اليوم بالمنهج الإثنوغرافي الذي يسعى إلى تصوير حياة الشعوب وخصائصها الاجتماعية والثقافية من خلال الاتصال المباشر للباحث بها و أخذ المادة من حقل الدراسة بشكل مباشر.

3- عند الرومان :

وبالانتقال إلى الفترة الرومانية نجد أنه من النادر العثور على إسهامات أنثروبولوجية، ولعل من الإسهامات القليلة التي تم تداولها كبوادر لعلم الإنسان أشعار " لوكروتيوس" التي ضمت العديد من الأفكار الاجتماعية مثل فكرة التطور والتقدم والعقد الاجتماعي ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة، إلى جانب مناقشة بعض القضايا الأخرى مثل العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى. .الخ، واستطاع لوكروتيوس وفق نظرة تطورية أن يتصور تطور البشرية عبر مسارات

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 35.
[2] - **نفس المرجع** – ص37.

متتالية من العصر الحجري إلى العصر البرونزي إلى الحديدي، مما جعل البعض يماثل نظرته التطورية بما جاء به لويس مورغان أحد أعلام الأنثروبولوجيا في العصر الحديث. [1]

4- عند الصينيين :

وكذلك لا نجد لدى الصينيين إسهامات واضحة يمكن اعتبارها بوادر للانثروبولوجيا ماعدا اهتمام فلاسفتهم بالأخلاق والشؤون العامة للمجتمع، فقد كان الصينيون يشعرون بنوع من " الاكتفاء الثقافي" حيث نجد نوعا من التعالي على الثقافات الأخرى، ورغم ذلك " لم يخل تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية والتي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار." [2]

لقد اتسمت نظرة الصينيين بالتعالي والعنصرية شأنهم شأن بقية مراكز الحضارة عبر التاريخ كاليونان والرومان وغيرهم، وهذه النظرة يؤكدها حسين مؤنس في كتابه " الحضارة" حين يقول :" فاليونان كانوا يرون أنفسهم أفضل الأمم وأنقاها وأشرفها وبقية الخلق همج، والرومان جعلوا الروماني فوق غيره بحكم القانون، حتى صاروا إذا أرادوا أن يرفعوا من قدر إنسان أو جنس أصدرت لهم الدولة قرارا بمنحه الجنسية الرومانية، أما أهل الصين فكانوا يؤمنون أنهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأي حضارة أو قضية خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء، وليؤكد ملوكهم هذا المعنى أقاموا سور الصين العظيم حتى لا تتدنس أرضهم بأقدام أقوام آخرين. " [3]

5- العصور الوسطى في أوروبا

وخلال العصور الوسطى ظهرت بعض المحاولات في أوروبا صنفت على أنها أعمال ذات صلة بالأنثروبولوجيا، ومن هذه الأعمال محاولة الأسقف " إسيدور" isidore الذي أعد موسوعة عن المعرفة خلال القرن السابع الميلادي أشار فيها إلى بعض عادات وتقاليد الشعوب المجاورة، حيث قرر إسيدور وبنظرة عنصرية أن قرب الشعوب أو بعدها من أوروبا هو الذي يحدد درجة

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 38-39.
[2] - عيسى الشماس – **مرجع سابق** – ص 17.
[3] - حسين مؤنس – **الحضارة** – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – عدد1- 1978- ص39.

تقدمها، كما وصف الذين يعيشون في أماكن نائية أنهم أناس غريبو الخلقة، كما ظهرت أيضا خلال القرن الثالث عشر موسوعة أخرى للفرنسي " باتولو ماكوس" والتي لم تختلف عن سابقتها في اعتمادها على الخيال في وصف الشعوب." [1]

6- الحضارة العربية الإسلامية:

أما عند العرب خلال هذه الفترة (القرون الوسطى) فكان السائد في البداية هو الاتجاه نحو ما سمي بالفتوحات الإسلامية، بما اقتضى محاولة معرفة البلاد المفتوحة وفهم عادات أهلها، فبرزت العديد من المعاجم الجغرافية مثل " معجم البلدان" لياقوت الحموي "، وكذلك بعض الموسوعات الكبيرة مثل " مسالك الأمصار " لابن فضل الله العمري، و "نهاية الأرب في فنون العرب" للنويري[2].

ومن الآثار التي تدل على الممارسة الأنثروبولوجية نجد كتاب البيروني " تحرير ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة "، لقد حاول البيروني أن يصف المجتمع الهندي من ناحية نظمه الدينية والاجتماعية والثقافية، كما عمل على مقارنة تلك النظم بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس، كما تطرق أيضا لدور الدين في التوجيه الاجتماعي داخل المجتمع الهنديوا إلى طبيعة اللغة ومستوياتها. ..الخ. [3]

كما نجد أيضا كتابات الرحالة ابن بطوطة في وصف البلاد التي ارتحل إليها، فخلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أفاض ابن بطوطة في وصف عادات وتقاليد أهل هذه البلاد ومختلف أنماط حياتهم، ومما ذكره ابن بطوطة عن عادات أهل السودان مايلي :" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولاغاصب..." [4].

---

[1] - حسين فهيم – **نفس المرجع** - ص 42-43.
[2] - عيسى الشماس – **نفس المرجع** – ص19.
[3] - حسين فهيم – **نفس المرجع** – ص 45.
[4] - **نفس المرجع** – ص 46

كما كتب ابن بطوطة عن إقامته بجزر " ذيبة المهل" –جزر الملديف- واصفا أهل هذه الجزر بأنهم " أهل صلاح وديانة،وا إيمان صحيح صادق، أكلهم حلال ودعاؤهم مجاب، وهم أهل نظافة وتنزه عن الأقذار وأكثرهم يغتسل مرتين في اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق..." [1]

وفي وصفه نساء هذه الجزر يكتب ابن بطوطة : " ونساؤها لايغطين رؤوسهن ولا سلطانتهم تغطي رأسها، ويمشطن شعورهن ويجمعنها إلى جهة واحدة، ولا يلبس أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة. ." [2]

إن الذي يعطي قيمة أنثروبولوجية لهذا الوصف الذي قدمه ابن بطوطة هو إقامته بهذه الجزر لمدة عام ونصف وتزوجه هناك واكتسابه للغة أهل المنطقة، وهي نفسها الشروط التي حددت للأنثروبولوجي بعد استواء الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته لممارسة البحث الأنثروبولوجي.

ورغم قيمة ما قدمه البيروني وابن بطوطة وغيرهما إلا أن أشهر الأعمال في تلك الفترة – وربما في غيرها- هي ماقدمه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي كان عملا تأصيليا لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وهذا بشهادة كثير من الكتاب الغربيين، وفي هذا الصدد نذكر ما أورده " هايلاند إيركسون" و " سيفرت نيلسون " في تاريخ النظرية الأنثروبولوجية عن صلة ابن خلدون بالأنثروبولوجيا، يقول الباحثان :" لقد طور واحدة من أولى النظريات الاجتماعية غير الدينية، وسبق أفكار إيميل دوركايم حول التضامن الاجتماعي، مما يعتبر حجر الزاوية بالنسبة لعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا، وقد شدد ابن خلدون على أهمية القرابة والدين في خلقوا إدامة معنى التضامن والالتزام المتبادل فيما بين أعضاء الجماعة، وانسجم هذا فيما بعد مع ماجاء به دوركايم وعلماء الأنثروبولوجيا الأوائل ممن استخدموا نظرياته" [3]

لقد كانت مقدمة ابن خلدون الشهيرة عملا أصيلا في وصف السلوكات الإنسانية والظواهر الاجتماعية في اتصالها بالبيئة الجغرافية، يبدو ذلك خاصة في ربط ابن خلدون بين طبيعة البيئة

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 47.
[2] - **نفس المرجع** – ص 47.
[3] - توماس هايلاند إيركسون و فين سيفرت نيلسون – **نفس المرجع** – ص15

وطبيعة سلوك الإنسان، والتفاوت في ذلك بين سلوك أهل البدو وسلوك أهل الحضر، كما تحدث ابن خلدون في المقدمة عن فكرة التطور من خلال وصفه للكيفية التي تنشأ وتتطور خلالها المجتمعات والدول، هذه الأخيرة التي لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص تبدأ بالولادة ثم النمو ثم الأفول والانهيار. [1] *

7-أوروبا في عصر النهضة:

وخلال عصر النهضة الأوروبية برزت بعض المحطات التي اعتبرت تأسيسا للأنثروبولوجيا أبرزها اكتشاف القارة الأمريكية خلال الرحلة التي قام بها " كريستوف كولومبوس" (1492-1502) حيث عاين وشاهد طريقة عيش السكان الأصليين في العالم الجديد، من خلال احتكاكه المباشر بالسكان ومعايشتة المباشرة لمختلف أنماط حياتهم، ذلك الذي جعل وصفه يتسم بشيء من الموضوعية. [2]

وقد جاء في وصف كولومبوس لسكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي مايلي :" إن أهل تلك الجزر كلهم عراة تماما، الرجال منهم والنساء كما ولدتهم أمهاتهم، ومع ذلك فثمة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهن بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف التي تصنع لهذا الغرض. " [3]، كما وصف سكان أمريكا الأصليين بمايلي :" إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة على أنهم يتقاسمون ماعندهم برضى وسرور. " [4]

كما تبلور في الفترة ذاتها الاتجاه الإنساني العلمي الذي يقوم على المنهج العلمي التجريبي منه والعقلي الرياضي، على يد كل من فرانسيس بيكون (1561- 1626) ورونيه ديكارث (1596-1650) بحيث أصبح ينظر للإنسان باعتباره ظاهرة طبيعية يمكن دراسته باستخدام المنهج العلمي من أجل الكشف عن القوانين التي تحكم تطور الإنسان والمجتمع بما مهد لبلورة قاعدة نظرية

---

[1] - عيسى الشماس **– نفس المرجع** – ص20-21.
***راجع مقدمة ابن خلدون.**
[2] - عيسى الشماس- **نفس المرجع** – ص 22.
[3] - **نفس المرجع** – ص22.
[4] - **نفس المرجع** – ص22.

ومنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، وأسهم بشكل واضح في تشكيل الأرضية العلمية للأنثروبولوجيا كعلم خلال القرن التاسع عشر. [1]

وفيما يتعلق بالدراسات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية خلال هذه الفترة فكانت ثمة بعض المحاولات لعل أبرزها محاولة الرحالة الإسباني " جوزيه آكوستا" خلال القرن السادس عشر الذي عمل على تصنيف الشعوب وتطورها الحضاري بناء على معرفة القراءة والكتابة، فصنف أوروبا في الدرجة الأولى ثم الصين وبعدها المكسيك، ووفقا لهذا المعيار أيضا تم تصنيف شعوب أخرى في أسفل السلم، بالإضافة إلى تقديمه افتراضا حول أصل السكان الأصليين في العالم الجديد الذين نزحوا حسبه من آسيا إلى أمريكا. [2]

وبالإضافة إلى جوزيه آكوستا يمكن الحديث أيضا عن محاولات الفرنسي " ميشيل دي مونتاني" (1532- 1592) الذي أجرى مقابلات مع السكان الأصليين الذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا واستخدمهم كإخباريين، بغرض تحصيل معلومات عن عادات وتقاليد موطنهم الأصلي، ولعل من أعمال دي مونتاني الشهيرة مقاله عن " آكلة لحوم البشر". [3]

8- خلال عصر الأنوار:

ويمكن الحديث أيضا خلال عصر التنوير عن بعض المفكرين الذين ساهموا في إثراء الفكر الأنثروبولوجي والتمهيد بذلك للأنثروبولوجيا حين ظهورها خلال القرن 19م، ونذكر من هؤلاء الفرنسي " إلبارون دي مونتيسكيو" صاحب " روح القوانين"، لقد أولى مونتيسكيو اهتماما واضحا بعلاقة البيئة الاجتماعية والثقافية بالقانون وأثر كل منهما في الآخر، " وترجع أهمية كتاب روح القوانين للفكر الأنثروبولوجي لما ورد فيه من إبراز لفكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة، أي كافة النواحي الطبيعية والثقافية، وقد سادت فيما بعد فكرة الترابط أو التساند

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 23.
[2] - حسين فهيم - **نفس المرجع** – ص 73.
[3] - **نفس المرجع**- ص 73.

الوظيفي بين هذه النظم الاجتماعية خاصة في أعمال الأنثروبولوجيين الأنجليز في أوائل القرن العشرين". [1]

ويمكن الرجوع أيضا في الفترة ذاتها إلى فلسفة " جان جاك روسو" صاحب كتاب " العقد الاجتماعي" والذي أثر في كثير من أعلام الأنثروبولوجيا فيما بعد، فقد اهتم روسو في العقد الاجتماعي بالقيم والأخلاق ومختلف جوانب الحياة في المجتمع الفرنسي وفي غيره من المجتمعات، ولعل مما استحسنه البعض في كتابات روسو " أنه استطاع أن يخلص نفسه من التحيز الثقافي لمجتمعه، وأن ينقد قيمه، بينما يشيد ويستحسن طرق حياة الشعوب في المجتمعات الأخرى" [2]

نشأة الانثروبولوجيا:

وقد تأسست الانثروبولوجيا كعلم قائم بذاته خلال القرن ال19م، ففي مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية كانت إسهامات " تشارلز داروين "(1809- 1882) ومحاولات ألفريد والاس (1823-1913) بمثابة أولى المحاولات العلمية المنهجية للعمليات البيولوجية، وكيفيات التطور الإنساني، [3] أما فيما يخص الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية فقد ظهرت خلال القرن 19م أيضا، من خلال الاهتمام بالثقافة، فارتبطت نشأتها بظهور أول تعريف أنثروبولوجي للثقافة على يد الأنجليزي " إدوارد تايلور" في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871. [4]

ومن رواد الأنثروبولوجيا الأوائل :" مورغان " و" باندلبير" و"كاشينج" و" دروسي" و" فليتش" في أمريكا، و"مين" و"ماكلينان" و" بت ريفر" و " لبوك " و " روبرتسون سميت " و" فريزر " في أنجلترا، و" باخوفين " في ألمانيا، و" فوستيل دي كولوني " في فرنسا..، وقد جاءت آراء ونظريات هؤلاء الرواد في سياق المدرسة التطورية التي تعنى بتفسير نشأة وتطور المجتمع والثقافة منذ القدم،

---

[1]- **نفس المرجع** – ص 75.
[2] - **نفس المرجع** – ص 77.
[3] - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – 1971- ص 19.
[4] - **نفس المرجع** – ص 41.

وذلك تأثرا بنظرية داروين في التطور العضوي، أي أن المجتمعات وثقافتها تتطور بنفس الطريقة التي تتطور بها الكائنات الحية. [1]

أقسام الأنثروبولوجيا

تتعدد تقسيمات الانثروبولوجيا وفقا للمكان والزمان، وتبعا للتأثر بنظريات وسياقات معينة مثلما هو عليه الحال عند استخدام تسمية الانثروبولوجيا الاجتماعية بدلا من الاثروبولوجيا الثقافية في بريطانيا نتيجة للتأثر بالنظرية الوظيفية لدى بعض الأنثروبولوجيين مثل " رادكليف براون"، مقابل استخدام مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية للدلالة على ذالك الفرع من الأنثروبولوجيا الذي يعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي لدى الإنسان في أمريكا، وفي مقابل هذا يحظى جانب آخر له صلة بالعلوم الطبيعية باهتمام الأنثروبولوجيين وهو الجانب الطبيعي والبيولوجي للإنسان، لترسخ الأنثروبولوجيا أهمية هذا القسم الذي أصبح يدعى بالأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيقية)، وبهذا وعلى وجه الإجمال يصبح للأنثروبولوجيا ثلاثة أقسام رئيسية هي الأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية.

1- الأنثروبولوجيا الطبيعية :

تعرف الأنثروبولوجيا بأنها " العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل المورثات، كما يبحث في السلالات الإنسانية من حيث الأنواع البشرية وخصائصها " [2]، ويرتبط هذا القسم بشكل واضح بالعلوم الطبيعية وخاصة علم التشريح anatomie وعلم وظائف الأعضاء physiologie وعلم الحياة biologie، وتعتبر نظرية التطور إحدى أهم النظريات التي يتم الاستناد إليها في هذا القسم، وهي نظرية تشير إلى أن الأجناس والأنواع تتطور وتتغير أجسامها ووظائف أعضائها خلال تكاثرها على مر العصور، ووفقا لهذه النظرية فإن جسم " الإنسان العاقل" قد تطور من أجناس بشرية أخرى، لذلك يمكن إيجاد شواهد دالة على هذا التشابه من الناحية التشريحية بين المخلوقات الحية اليوم مثل التشابه بين جسم

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 41-42.

[2] - عيسى الشماس **– مرجع سابق** – ص 61.

الأرنب وجسم القرد وجسم الإنسان العاقل، وقد خضع موضوع "التطور البيولوجي" للبحث العلمي بداية من القرن التاسع عشر على يد تشارلز داروين وألفرد والاس. [1]

إن معرفة الكيفية التي تطور بها الإنسان من أسلافه، وعمليات التغير المستمرة على جسم الإنسان هي المبرر للغوص في خصائص هذا الإنسان وتتبعه إلى عصور ما قبل التاريخ البعيدة لمعرفة إن كانت هناك أنواع أخرى غير الإنسان العاقل، هذا الذي يتيح لنا معرفة كيف أصبح الإنسان تدريجيا مختلفا عن سائر الحيوانات، وكيف اكتسب السمات الجسمية التي تميزه اليوم [2].

يركز المتخصص في الأنثروبولوجيا الطبيعية اهتمامه على أشكال الحياة الأقرب إلى الإنسان (الرئيسات)، ولعل من شأن المقارنة بين الحياة القائمة والأشكال الحفرية أن تلقي الضوء على كثير من السمات البيولوجية ودلالاتها، ونجد اليوم اهتماما خاصا بدراسة السلوك البشري وسلوك أشباه البشر، بما يمكن من إلقاء الضوء على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية وعلى ظهور الثقافة[3].

ولعل من المباحث الهامة والحديثة نسبيا في الانثروبولوجيا البيولوجية هو دراسة العمليات التي تحدث بموجبها التغيرات البيولوجية في الإنسان، ولقد كانت إحدى المراحل المبكرة في دراسة هذا الموضوع هو تناول نمو الإنسان منذ الولادة إلى البلوغ، وتأثير البيئة على هذا النمو، أما المرحلة الأحدث فإنها تركز على دراسة الوراثة البشرية، أي ميكانيزمات الوراثة وأساليب تعديل الصفات الوراثية، وأساليب تكيف الكائنات البشرية بيولوجيا مع الظروف الجديدة. .الخ. [4]

ويمكن تقسيم الانثروبولوجيا الطبيعية حسب طبيعة الدراسات إلى فرعين رئيسيين هما : [5]

أ- **فرع الحفريات البشرية** : ويتناول بالدراسة الجنس البشري منذ نشأته مرورا بمختلف مراحله التطورية من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار، والهدف من هذا الفرع هو محاولة معرفة حياة الإنسان البائد من خلال البقايا والآثار التي تدل عليه.

---

(1) - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق** – ص 61.
(2) - محمد الجوهري وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004- ص 12.
(3) - **نفس المرجع** – ص13.
(4) - **نفس المرجع** – ص13.
(5) - عيسى الشماس – **نفس المرجع** – ص 63- 64.

ب- فرع الأجناس البشرية : ويتناول الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض) والإنسان الحالي، ومقارنة الملامح والسمات العضوية لكليهما.

لقد اهتم المختصون بالأجناس البشرية بتصنيف هذه الأجناس، غير أن عملية التصنيف بقيت وا لى وقت قريب قائمة على معيار العرق والاحتكام إلى بعض الخصائص السطحية مثل لون الجلد وشكل الشعر. .الخ، لكن الاهتمام بدأ يتحول إلى فروق أكثر دقة مثل أنواع الدم والأجهزة العضلية. .الخ، ثم إلى الفروق المتعلقة بالنضج الجنسي والمناعة ضد الأمراض. .الخ. [1]

2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية (من علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا) :

في كتابه " الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وبعد تعديده للفروع العديدة التي تتشكل منها الأنثروبولوجيا يحاول " إيفانز بريتشارد" إبراز تميز الانثروبولوجيا الاجتماعية عن باقي الفروع الأخرى للانثروبولوجيا عامة من خلال إبراز مهمتها الأساسية، فمهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية حسب بريتشارد أنها " تحلل السلوك تبعا لأشكاله المؤسساتية كالعائلة ونظام القرابة، والتنظيم السياسي، وصيغ التدابير القانونية، والعبادات الدينية. ..الخ، فضلا عن العلاقات القائمة بين مختلف المؤسسات، إنها تدرس هذه الأشكال وعلاقاتها سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التي يتوفر عنها ما يكفي من المعلومات الجديرة بالثقة، بما يساعد على القيام بهذه الدراسات ". [2]

ويحيل المفهوم الكلاسيكي للانثروبولوجيا على أنها دراسة للبناء الاجتماعي لأية جماعة أو مجتمع بما يضمه هذا البناء من علاقات اجتماعية وجماعات وتنظيمات، هذا الذي يجعل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية قريبة جدا من علم الاجتماع، على الرغم من أن علم الاجتماع أقدم ظهورا من الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث ظهر على يد أوغست كونت وهربرت سبنسر بينما أسس للأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا مالينوفسكي ورادكليف براون بعد أن استفادا من تراث

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 64.

[2] - إيفانز بريتشارد – **الإناسة المجتمعية – ديانة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986- ص 12.

علماء الاجتماع الأوائل، [1] إن التقارب الكبير بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية هو الذي جعل رادكليف براون يصرح خلال أحد خطاباته بالمعهد الأنثروبولوجي الملكي أنه" على استعداد تام لتسمية هذه المادة بعلم الاجتماع المقارن إذا أراد أي فرد ذلك. " [2]

تنظر المدرسة الأنجليزية للأنثروبولوجيا الاجتماعية كفرع مستقل للأنثروبولوجيا عامة شأنها شأن الأنثروبولوجيا الثقافية، على عكس المدرسة الأمريكية التي تنظر للأنثروبولوجيا الاجتماعية باعتبارها فرعا من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، وتهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية وخاصة المجتمعات شبه البدائية التي يبدو التكامل والوضوح سمة واضحة في بنائها الاجتماعي. [3]

وتستند الأنثروبولوجيا الاجتماعية ل" النظرية الوظيفية " التي يتزعمها رادكليف براون والتي تتأسس على أن النظم الاجتماعية في مجتمع ما هي نسيج متشابك من العناصر التي يؤثر بعضها في البعض الآخر بما يشكل وحدة كلية تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار، وما هو جدير بالذكر أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا تهتم كثيرا بتاريخ النظم ولكن بتحديد وظيفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي الكلي. [4]

ويعتبر مفهوم البناء الاجتماعي مفهوما محوريا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والنظرية البنائية الوظيفية، وبتحليل هذا البناء يمكن الوقوف على بعض المفاهيم الأخرى التي تحظى بمكانة كبيرة ضمن هذا السياق، ومن هذه المفاهيم مفهوم : المكانة والدور، " فالمكانة هي مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية مثل : الإبن، الناظر، الزوج...، كذلك يهتم الباحث الأنثروبولوجي بالطريقة التي يحدد بها المجتمع الأدوار التي يقوم بها الناس. .وتتضمن الأدوار مستويات القيادة والأمر والجماعة والطاعة والتعاون. .الخ" [5]

---

[1] - محمد الجوهري وآخرون – **مرجع سابق** – ص14- 15.
[2] - **نفس المرجع**- ص 15.
[3] - عاطف وصفي – **الانثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق** – ص 30.
[4] - **نفس المرجع** – ص 30.
[5] - محمد الجوهري وآخرون – **نفس المرجع** – ص 17.

إن الانطلاق من فكرة " البناء الاجتماعي" في التحليل تحيل إلى أمر أساسي وهو أن الأنثروبولوجي الاجتماعي ينطلق في عملية التحليل من المجتمع وليس الثقافة،وا ٍن كان تحليله يشمل عادات وتقاليد الجماعات وأنماط معيشتها، غير أن تمثل وتصور عملية الانطلاق في التحليل من المجتمع كوحدة يحيل بالضرورة إلى الاهتمام والتركيز على قضية العلاقات القائمة بين أفراد الجماعة وكيفية انتظامها في جوانب حياتها المختلفة.

3- الأنثروبولوجيا الثقافية:

يهتم هذا الفرع من الأنثروبولوجيا بدراسة الثقافة لدى مجتمع أو جماعة معينة، والثقافة في أبسط معانيها تشير إلى مختلف أنماط العيش والتفكير والسلوك والإبداع داخل أية جماعة، سواء كانت هذه الجماعة تنتمي إلى مجتمع بدائي أو إلى مجتمع متقدم، وبواسطة الثقافة يستطيع أفراد المجتمع أن يشبعوا حاجاتهم ومتطلباتهم الحياتية، لذلك كانت الثقافة ذات أهمية لعالم الانثروبولوجيا، بل إنها تمثل الموضوع الجوهري في علم الإنسان على وجه العموم.

والواضح أن دراسة ثقافة أي جماعة أو مجتمع تتم على مستويين اثنين : المستوى الأول هو ما يعرف بالدراسة المتزامنة والتي تشير إلى دراسة المجتمعات وثقافتها في فترة معينة من تاريخها، أما المستوى الثاني فهو ما يعرف بالدراسة التتبعية والتي تشير إلى دراسة المجتمعات وثقافتها خلال عملية تطورها بتعقب مختلف مراحلها عبر التاريخ. [1]

إن أهمية الثقافة من جهة وتعدد جوانبها من جهة ثانية جعل الأنثروبولوجيا الثقافية تتفتح على بعض الفروع الدراسية الجزئية مثل الإثنوغرافيا والإثنولوجيا وعلم الآثار واللغويات، وهذه الفروع تصنف باعتبارها تابعة للانثروبولوجيا الثقافية، على الرغم من أننا نجد نوعا من التقارب بين هذه الفروع جميعا، إذ أنها تعنى جميعها بالمجتمعات والشعوب لكن كل واحدة تتناولها من جانب معين، فنجد مثلا الإثنولوجيا تتناول بالدراسة ثقافة المجتمع من لغة وعادات ودين ونظام سياسي واقتصادي. .الخ بشيء من التعمق،وا ٍجراء المقارنات بين الأجزاء والجماعات المختلفة مقابل الإثنوغرافيا التي تكتفي بوصف ثقافة هذه الجماعات، " وقد اتفق معظم العلماء على إطلاق

[1] - محمد الجوهري وآخرون – **نفس المرجع** – ص 19-20.

اصطلاح إثنوغرافيا على الدراسة التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع معين، ويطلق اصطلاح إثنولوجيا على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة، فالإثنولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافات التي يصفها الإثنوغرافي، ويستهدف الإثنولوجي الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفةإلى تصنيف الثقافات إلى مجموعات وأشكال على أساس مقاييس معينة." [1]

وبالإضافة إلى الإثنوغرافيا والإثنولوجيا يعتمد الباحث في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية على علم الآثار (الأركيولوجيا) بهدف الوصول إلى حقائق عن ثقافات الشعوب الغابرة التي لا تتوفر عنها معلومات مسجلة عن طريق الكتابة، ويعتمد علم الآثار على بقايا الإنسان القديم والتي تدل على ثقافته وتكشف عن الكثير من المعلومات المتصلة بثقافة هذا الإنسان واتصالاته المختلفة، ووسائل عيشه التي تدل على مستوى العيش والتفكير لديه، ومن هذه الآثار يمكن الحديث عن الآثار الصخرية والأواني الفخارية والأقواس والسهام القديمة. ..الخ، هذه التي تدل على عناصر الثقافة المادية والتي تسلم أيضا إلى مستوى وطريقة تفكير الإنسان القديم، ومن أجل هذا اعتبر علم الآثار أحد الفروع المهمة في الأنثروبولوجيا الثقافية.

ولا يقل علم اللغويات عن علم الآثار باعتباره أحد الفروع المهمة كذلك للأنثروبولوجيا الثقافية، ذلك أن اللغة هي إحدى العناصر الأساسية للثقافة، وهي محل اهتمام الانثروبولوجين في محاولة وصفهم للشعوب والجماعات الإنسانية، وينقسم علم اللغويات إلى قسمين أساسيين هما : [2]

- علم اللغويات الوصفي : ويهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، وبدراسة النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات، كما يهتم باللغة الكلامية وخاصة اللغات الكلامية التي لم تكتب بعد، وتتركز معظم دراسات هذا العلم في المجتمعات البدائية التي لا تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامية.
- علم أصول اللغات : ويهدف هذا القسم إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية، فالباحث في مجال أصول اللغات يهتم بالجانب التاريخي والمقارن حيث يتناول العلاقات التاريخية بين

---

[1] - عاطف وصفي– **الانثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق** – ص 29.
[2] - **نفس المرجع** –ص 31-32.

اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة، أما اللغات القديمة التي لا تتوفر على وثائق مكتوبة فيستعمل الباحث وسائل وتقنيات خاصة لبحث تاريخ تلك اللغات.

وأخيرا ومن خلال هذا العرض لأهم فروع وأقسام الأنثروبولوجيا تجدر الإشارة إلى أن هذه الأقسام ليست منعزلة تماما إذ أن التداخل حاصل بينها، فالأنثروبولوجيا الطبيعية يمكن النظر إليها باعتبارها فرعا مكملا للفروع الأخرى، وهي تمثل الشق المادي في دراسة الإنسان الذي لا يمكن فصله بأية حال من الأحوال عن شقه الروحي الذي تعنى به الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، أما عن التفريق بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي في مجال الأنثروبولوجيا فله سياقه التاريخي والأكاديمي، لكن التفريق المطلق غير وارد تماما إذ أن ما هو اجتماعي يسلم إلى ما هو ثقافي والعكس، فالفرق فقط مثلما يرى كلود ليفي ستروس " في أسلوب الدراسة وليس في موضوع الدراسة، لأن الموضوع واحد تقريبا فلا يوجد مجتمع إنساني من دون ثقافة، ولا يمكن أن توجد ثقافة حية من دون مجتمع " [1]، غير أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية اختارت أن تنطلق من البناء الاجتماعي وما يضمه من علاقات ونظم اجتماعية أي مما هو كلي وصولا إلى العناصر البسيطة التي ليست سوى عناصر الثقافة المختلفة (لغة – عادات – سلوكات...الخ) بينما اختارت الأنثروبولوجيا الثقافية الانطلاق من هذه العناصر البسيطة وصولا إلى فهم بناء المجتمع في صورته الكلية.

الأنثروبولوجيا : الموضوع والهدف

موضوع الأنثروبولوجيا

تتخذ الأنثروبولوجيا من الإنسان بكل نواحيه موضوعا أساسيا لها، فإذا كان جسم الإنسان في ذاته ونشأته وتطوره هو موضوع الانثروبولوجيا الفيزيقية، فإن علاقات الإنسان وسلوكه ومختلف التفاعلات التي تنتج عن اتصاله بالآخرين هي موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وقد عمد الأثروبولوجيون الأوائل إلى دراسة المجتمعات البدائية البسيطة في تركيبتها

[1] - **نفس المرجع** – ص 36.

وثقافتها فكان المجتمع البسيط والذي وصف بالبدائي هو الموضوع الأساسي الذي وجهت إليه أنظار الأنثروبولوجيين قبل أن يتجهوا لدراسة المجتمعات صغيرة الحجموا إن كان ذلك من حيث الزمان والمكان ضمن المجتمعات المعاصرة.

كان هناك نوع من التردد من أجل أن تعلن الأنثروبولوجيا أن موضوعها هو المجتمع بأنماطه المختلفة وفي مختلف الأنماط الاجتماعية والثقافية، وفي هذا الصدد نذكر أن رادكليف براون مثلا حدد مجال دراسة الأنثروبولوجيا في مقال له عن المنهج عام 1923 بالمجتمعات البدائية لكنه عاد سنة 1944 ليجعل من جميع أنماط المجتمع الإنساني مجالا للدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهو نفس الموقف الذي أبداه إيفانز بريتشارد الذي رأى بأن الأنثروبولوجيا هي" فرع من الدراسات الاجتماعية يتخذ من المجتمعات الإنسانية جميعا (بأنماطها المختلفة) موضوعا لهوا إن كان يركز على دراسة النمط التقليدي منها". [1]

والواضح أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية إجمالا يتراوح بشكل خاص بين الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم والأنساق الفرعية التي تكونه ووظيفة هذه النظم، إضافة إلى دراسة الثقافة بمكوناتها المختلفة، وفيما يلي نحاول أن نورد بعض هذه الموضوعات

1 - الثقافة :

تعتبر على وجه الإجمال الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الثقافية خصوصا، باعتبار هدف هذه الأخيرة التي ترمي إلى محاولة فهم ثقافة الجماعات في بنائها وتطورها ومختلف التمايزات الموجودة بينها.

أ- **مفهوم الثقافة** : تشير الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي إلى كل ما ينتجه الإنسان خلال تفاعله مع الآخرين، كما أنها تعبر عن أسلوب الحياة لدى جماعة معينة، وقد عرفت الثقافة من منظورات عديدة تبعا لبؤرة الاهتمام لدى العلماء، وكذلك طبيعة المنظور الذي يتبعه هؤلاء العلماء، وبناء على هذا " قام عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان " كروبر وكلوكهون "

[1] - محمد عبده محجوب – **مرجع سابق** – ص 37

بإحصاء مائة وستين تعريفا للثقافة، تم استقاؤها من عدد كبير من العلماء والباحثين في الثقافة، ويمكن تصنيف هذه التعريفات في عدد من الفئات هي : الوصفية والتاريخية والمعيارية والنفسية والبنائية والوراثية " [1]

ولعل أشهر تعريف قدم للثقافة ذلك الذي أورده إدوارد تايلور في كتابه " الثقافة البدائية" عام 1871 وهو كما يلي: " الثقافة هي هذه المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما ". [2]

ويرى رالف لينتون أن الثقافة في أي مجتمع " هي طريقة حياة أعضائه، أو بالأحرى مجموعة الأفكار والعادات التي يتعلمونها ويشتركون فيها وينقلونها من جيل لآخر" [3]، أما مالينوفسكي فالثقافة عنده هي " مجموعة الوسائل التي يصبح الإنسان بفضلها في موقف أقصى لمجابهة المشاكل القائمة المعينة، والتي يقابلها الإنسان في بيئته خلال إشباعه لحاجاته..." [4]

ب- عناصر الثقافة ومكوناتها:

تقسم الثقافة عادة بحسب العناصر المكونة لها إلى ثقافة مادية وثقافة لا مادية (روحية معنوية) فتشمل عناصر الثقافة اللامادية الفنون والأفكار والمعتقدات والعادات كما تشمل عناصر الثقافة المادية الآلات والمعدات والوسائل والتكنولوجيا. .الخ، وهذا التقسيم هو الذي يفصل بين لفظي " ثقافة " و" حضارة" حينما انتقل مفهوم الثقافة من فرنسا -إذ كان مصطلح الثقافة حينها يشير إلى الجانبين الروحي والمادي معا – إلى ألمانيا حيث عملت المدرسة الألمانية بزعامة " ألفريد فيبر"على التفريق بين " الثقافة " و"الحضارة" فاتصلت الثقافة بالجانب الروحي بينما أصبح لفظ" حضارة " دالا على الجوانب المادية للثقافة فقط،

---

[1] - محمد السويدي – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1 – 1991- ص 46.
[2] - الطاهر لبيب – **سوسيولوجيا الثقافة** – دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – سوريا – ط3- 1987- ص 10.
[3] - حميد خروف والربيع جصاص – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة -2003- ص 21.
[4] - **نفس المرجع** – ص 21.

فالحضارة من منظور ألفريد فيبر هي ذلك " المجهود الإنساني في سبيل السيطرة على عالم الطبيعة بوسائل عقلية في ميدان العلوم والحياة العملية والتخطيط ". [1]

ويلجأ علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع إلى تحليل الثقافة من خلال تقسيمها غلى عناصر عديدة، وذلك بغية تسهيل مهمة البحث وفهم البنية الكلية للثقافة لدى جماعة معينة أو عدة جماعات من خلال تناولها في عناصرها الجزئية، لذلك نجد أن الثقافة تشكل البناء الكلي الذي ينقسم إلى عدة بنيات أدناها السمة الثقافية التي لا يمكن أن تنقسم إلى أصغر من ذلك، ويتم تقسيم الثقافة من الناحية الأنثروبولوجية وفقا للنموذج التالي : [2]

- **الثقافة** : مجموع النظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع.
- **النظام** : عدد من النماذج والمركبات الثقافية المترابطة فيما بينها.
- **النموذج** : عدد من السمات الثقافية المترابطة فيما بينها.
- **السمة** : أصغر وحدة لا تنقسم إلى أقل منها.

ويقوم بعض الباحثين بتقسيم الثقافة وفقا لتجانس عناصرها، ومدى سعة أو ضيق ذلك التجانس، فتقسم عناصر الثقافة بناء على هذا الأساس إلى :

- **عموميات** :وتشير إلى مجموع " الأفكار و العادات و التقاليد و الاستجابات العاطفية المختلفة و أنماط السلوك و طرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع. .." [3] أي أن العموميات هي تلك العناصر الثقافية التي تسود المجتمع الكبير بجماعاته وطبقاته و فئاته المختلفة.
- **خصوصيات** :وتشير إلى " مجموع العادات و القيم و الأنظمة و الأساليب التي يختص بها حزب أو فئة أو طبقة محددة في المجتمع، و تعمل على ممارستها بشكل واضح دون غيرها من الطبقات الاجتماعية الأخرى..." [4]

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 31.
[2] - **نفس المرجع** – ص 32.
[3] - محمد لبيب النجيحي:**الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ط4 – 1971 – ص204.
[4] - محمد زياد حمدان:**الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان، الأردن – 1989 – ص8.

- **متغيرات (بدائل)** : وتشير إلى تلك العناصر الثقافية التي تدخل على الثقافة بعمومياتها و خصوصياتها فتحدث فيها تغييرا، ويكون ذلك من خلال عمليات الاتصال الثقافي المختلفة، غير أن الواضح هو أن المتغيرات المتصلة بالجوانب المادية أسهل في استقرارها عند اتصالها بالعموميات أو الخصوصيات نتيجة تقبلها من قبل الأفراد، على عكس المتغيرات المعنوية التي يصعب استقرارها وتقبلها نتيجة اتصالها بالعادات والقيم والقناعات والاتجاهات الفكرية لدى الأفراد. [1]

ج- وظيفة الثقافة :

يرى مالينوفسكي أن الوظيفة الأساسية للثقافة هي إشباع الحاجات الأساسية للأفراد، فالطبيعة البيولوجية للإنسان تستدعي حاجات كثيرة متصلة بالأكل والشرب واللباس والجنس. .الخ، لذلك كانت الثقافة هي الكيفية التي تشبع بها هذه الطبيعة، فالجوع يقابله أكل والبرد يقابله لباس. .الخ،وا إذا استطاع الإنسان تلبية حاجاته الأساسية من خلال الثقافة، يمكن له ومن خلال الثقافة دائما أن يلبي حاجاته الثانوية (المشتقة) والتي تترقب بدورها الإشباع ثقافيا، فحسب مالينوفسكي لا يجد الإنسان إلا أن يجد حلا للمشاكل التي تنبع من حاجاته الأساسية كالحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الإشباع الجنسيوا إلى الوقاية من الخطر وذلك من خلال إيجاد بيئة ثانوية أو صناعية، وهذه البيئة ليست سوى الثقافة. [2]

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن النظم الاجتماعية المختلفة كالنظام الاقتصادي و الديني والسياسي. .الخ إنما وجدت من أجل إشباع الحاجات التي يتطلبها كل نظام من هذه النظم، فنظام الاقتصاد مثلا جاء لتلبية حاجات الإنتاج والاستهلاك. .والنظام الديني جاء لتلبية الحاجات المتصلة بالجانب الروحي وهكذا. ..

ويميز البعض بين وظيفتين هامتين للثقافة هما : [3]

---

[1] - محمد المرسي سرحان:**في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت، لبنان – ط3 – 1981 – ص144.

[2] - سامية حسن الساعاتي – **الثقافة والشخص**ية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط2- 1983- ص63.

[3] - حميد خروف و الربيع جصاص – **نفس المرجع** – ص 36- 37.

- **الوظيفة الاجتماعية** :وتتضمن تجميع الناس في عالم عقلي أخلاقي مشترك يشعرهم بانتمائهم الواحد فتضمن من خلال هذا استمرار ووحدة المجتمع، كما تزود الأفراد بالأهداف والآمال وتقدم لهم تفسيرات مسلم بها عن المحيط والعالم.

- **الوظيفة النفسية** : وترمي إلى قولبة شخصيات الأفراد من خلال تزويدهم بأنماط السلوك وتمكينهم من طرق التعبير عن العواطف والانفعالات.

د- خصائص الثقافة :

هناك العديد من الخصائص التي تميز الثقافة لعل أبرزها أنها منتوج إنساني تتبلور من خلال عمليات التفاعل التي تحدث بين الأفراد، كما أن هذه الثقافة لا تبقى حبيسة البيئة التي أنتجتها بل يمكن لها أن تنتقل إلى بيئات أخرى، كما يمكن لها أن تتطور وتتغير في بيئتها الأصلية أو في البيئات التي تنتقل أو تهاجر إليها..الخ، ويمكن لنا هنا أن نورد بعض خصائص الثقافة التي هي محل اتفاق بين الباحثين، وهذه الخصائص هي : [1]

- الثقافة اجتماعية ومكتسبة : تكتسب من المجتمع عن طريق التعلم.
- الثقافة إنسانية : أنها من سمات الإنسان دون غيره من الكائنات.
- الثقافة انتقالية : تنتقل بين المجتمعات والأجيال.
- الثقافة أفكار وأعمال : فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.
- الثقافة متنوعة الشكل مختلفة المضمون : فلكل مجتمع لغة ودين وعادات لكن هناك اختلاف في طبيعة هذه العناصر بين المجتمعات.
- الثقافة متغيرة : فالثقافة تتغير من خلال عمليات الاتصال والاحتكاك الثقافي وعمليات التعديل والتطور.

[1] - **نفس المرجع** – ص ص 27-30.

2- البناء الاجتماعي:

يعتبر مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهيم الأساسية المستخدمة في الدراسات الانثروبولوجية، بل ويعتبر البناء الاجتماعي بمثابة الموضوع الأساسي خاصة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولعل الفكرة الأولى التي يمكن تكوينها عن البناء الاجتماعي هو ذلك الإطار الذي يجمع كافة النظم ومختلف أشكال العلاقات الإنسانية في شكل منظم ومرتب.

وحسب موسوعة علم الإنسان فإن مفهوم البناء الاجتماعي " يستخدم عموما للإشارة إلى ملامح التنظيم الاجتماعي بما يضم من نظم اجتماعية وأدوار ومكانات، والتي من شأنها أن تضمن استمرار أنماط السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية عبر الزمن ". [1]

وبهذا يدل مفهوم البناء الاجتماعي على تلك الآليات التي يمكن من خلالها ضمان استمرار التركيبة الاجتماعية بما هي عليه من خصائص وسمات بما يؤدي إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي بتعبير الاتجاه الماركسي، وقد ارتبط مصطلح البناء الاجتماعي في المجال الأنثروبولوجي بأعمال الأنثروبولوجيين البريطانيين وعلى رأسهم رادكليف براون. [2]

- **البناء الاجتماعي عند رادكليف براون :** ينظر براون إلى البناء الاجتماعي باعتباره شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين شخصين أو أكثر مثل ما هو عليه الحال في نظام القرابة من خلال العلاقات الثنائية التي تجمع مثلا بين الأب وابنه والأخ وأخته. .،وكذلك عمليات التمييز القائمة بين الأفراد على أساس الدور الاجتماعي مثل دور النساء ودور الر جال والزعماء. .الخ. [3]
- **البناء الاجتماعي عند إيفانز بريتشارد :** كانت نظرة بريتشارد مخالفة نوعا ما لنظرة براون في قضية تشكل البناء الاجتماعي من العلاقات الثنائية، فعلى عكس براون ذهب بريتشارد إلى أن البناء الاجتماعي يتشكل من تلك العلاقات التي تقوم بين الجماعات التي تتمتع

---

[1] - شارلوت سيمور سميت – **موسوعة علم الإنسان : المصطلحات والمفاهيم الأساسية** – ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط2- 2009- ص 167.

[2] - **نفس المرجع** – ص 168.

[3] - عيسى الشماس – **مرجع سابق** – ص 135- 136.

بدرجة عالية من الثبات والاستمرار في المجتمع مثل القبائل والعشائر. ..الخ، فبريتشارد – وعلى عكس براون – يرى أن الأسرة لا تتمتع بتلك الدرجة من الثبات والاستمرار، ذلك أن أفرادها مثل الزوج والزوجة يكبرون ويموتون، وكذلك الأولاد يكبرون ويكونون أسرا مستقلة جديدة. .الخ أما الوحدات القبلية مثلا فإنها تستمر في الوجود. .، إضافة إلى أن العلاقات الثنائية هي علاقات سريعة سرعان ما تتغير باختلاف المصالح ولكن العلاقات التي تجمع الجماعات القبلية هي علاقات ثابتة نسبيا، وهي تفرض أنواعا محددة من التعاون والتساند إزاء الجماعات الأخرى. [1]

ويرتبط مفهوم البناء الاجتماعي بكل من مفهوم النظام الاجتماعي و النسق الاجتماعي، فإذا كان البناء الاجتماعي هو ذلك الكل المركب من أجزاء منتظمة حيث تمثل هذه الأجزاء مختلف أنماط السلوك و الظواهر، فإن النسق يشير على نحو ما يرى تالكوت بارسونز إلى " وجود نوع من التساند والاعتماد المتبادل الذي يهدف إلى تحقيق وظائف معينة أيضا بين عدد من الأفراد أو الزمر الاجتماعية الذين يقومون بأدوار مرسومة ومحددة " [2]

ويرتبط البناء في استمراره بالوظيفة التي تؤديها مختلف أجزائه (أي نظمه المختلفة التي تشكله)، فالنظام السياسي مثلا إضافة إلى النظام الاقتصادي ونظام القرابة والدين. .الخ، كلها تؤدي وظائف ليتمكن من خلالها هذا البناء من الاستمرار والبقاء، وتشبه الوظائف التي تؤديها أجزاء البناء الاجتماعي تلك التي تؤديها أجزاء الكائن الحي، لذلك كانت محاولة فهم البناء الاجتماعي من منطلق الوظيفة التي تؤديها النظم المختلفة وبتأثير واضح من الدراسات البيولوجية، فالمدرسة الوظيفية تهتم بوظيفة النظم ضمن الواقع الاجتماعي دون الرجوع إلى الماضي لتتبع تاريخ هذه النظم، وعلى وجه العموم فإن وظائف النظم المختلفة تتجلى في مختلف العلاقات والتفاعلات الاجتماعية ومختلف صور الأدوار والمكانات الاجتماعية والتي تشكل في الأخير دعامة أساسية لبقاء واستمرار البناء الاجتماعي.

---

[1] - محمد عبده محجوب – **مرجع سابق** – ص 24- 25.

[2] - **نفس المرجع** – ص20.

3- **نظام القرابة :**

يعتبر نظام القرابة من الموضوعات الأساسية في مجال الانثروبولوجيا، فهو المجال الذي بمقتضاه يمكن التعرف على علاقات الاتصال من خلال قنوات الأسرة والزواج ومختلف القوانين التي تحكمها، لذلك يعتبر الزواج ونظام الأسرة إحدى أهم النظم الداخلة في تشكيل النظام القرابي العام.

لقد شكلت القرابة موضوعا أساسيا للانثروبولوجيا منذ نشأتها خاصة عندما نشر لويس مورغان مؤلفه "أنساق قرابة الدم والمصاهرة " عام 1870، كما كانت محل اهتمام من قبل مختلف أعلام الأنثروبولوجيا الآخرين مثل براون وبريتشارد ومارسيل موس، ووصولا إلى الأنثروبولوجيين المتأخرين من أمثال كلود ليفي ستروس الذي ساهم في إثراء الحقل الأنثروبولوجي من خلال تحليلاته للعديد من الموضوعات وعلى رأسها موضوع القرابة، ويعتبر كتابه " البنى الأساسية للقرابة " الذي نشره أول مرة عام 1949 خير دليل على ذلك. [1]

ويتم تحليل القرابة من خلال " مصطلحات القرابة" بتصنيفها وفقا لبعض أسس التصنيف المتداولة وتحليل أنماط الزواج وأنواع الأسر. .الخ.

أ- **مصطلحات القرابة :** يرى "كروبر" أن مصطلحات القرابة يمكن أن تنقسم إلى قسمين رئيسيين، وذلك من خلال استخدام المجتمعات الإنسانية لهذه المصطلحات تبعا لذلك فإن هذين القسمين هما : [2]

- مصطلحات القرابة التصنيفية (الطبقية) : و هي تتأسس على الفئات و الطبقات العمرية فهناك طبقة الأجداد و طبقة الأبناء و طبقة الأحفاد، كما يتأسس هذا التصنيف على ملاحظة أساسية وهي إمكانية إطلاق اصطلاح " "أب " مثلا على جيل بكامله ممن هم في جيل واحد.

---

[1] - شارلوت سيمور – سميت – **مرجع سابق** – ص 428.
[2] - عاطف وصفي – **الانثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق** – ص 204.

- مصطلحات القرابة الوصفية (التخصصية) : و تتأسس على الوصف الحقيقي للعلاقة القرابية دون تصنيف فهناك الأب و الأم و الأخ و الأخت. ..، فالمصطلح القرابي هنا يستخدم للدلالة على قريب واحد بالذات.

ب- **بعض أسس التصنيف القرابي:** ويمكن تصنيف القرابة ومصطلحاتها وفقا لبعض الأسس مثلما يرى ألفرد كروبر فيما يلي : [1]

- الجيل : ويشير إلى جيل الآباء والأجداد أو الإخوة والأخوات. ..
- العمر : ويتم التصنيف هنا بناء على السن، فهناك كبار السن مثل الأجداد وهناك الآباء والأبناء، وهناك إخوة (كبار)وا إخوة (صغار)..الخ.
- الأقارب المباشرون والأقارب غير المباشرون : فالأقارب المباشرون هم الذين نجدهم على خط النسب المترابط مثل : جد – أب – إبن – إبن الإبن....، أما غير المباشرون فيمثلون علاقة قرابية بشكل غير مباشر، أي بتوسط أشخاص آخرين مثل : الإبن وابن العم وابن الخال. .الخ.
- الجنس :ويشير إلى التصنيف على أساس جنس الشخص (ذكر – أنثى).
- نوع المتكلم : تختلف الصفة القرابية باختلاف المخاطب فالزوج الذي يخاطب زوجته يختلف عن الإبن الذي يخاطب أمه. .الخ.
- القرابة الدموية وقرابة المصاهرة : هناك فرق بين القرابة القائمة على رابطة الدم كعلاقة الابن مع أبيه أو عمه، وهناك علاقة المصاهرة والتي أساسها الزواج بين رجل وامرأة وما من يترتب عليها من علاقات قرابية بالنسبة لأولادهما. .الخ.

وفي تحليل النظام القرابي يتم الرجوع إلى الأنماط المختلفة للزواج وأنواعه، وتصنيف الأسر وأنواعها، ففي مجال الزواج نجد أن هناك عنصرين بارزين هما : [2]

- **الزواج الداخلي (الزواج من داخل الجماعة القرابية)** : وفيه يتعين على الرجل أن يتزوج من داخل الجماعة القرابية التي ينتمي إليها.

---

[1] - عامر مصباح – **مرجع سابق** - ص ص 2015- 2018.
[2] - يحي مرسي عيد بدر – **مرجع سابق** – ص 241.

- **الزواج الخارجي** : وفيه يتعين على الرجل أن يتزوج من خارج الجماعة القرابية التي ينتمي إليها.

أما الأسرة فنجد أنها تتكون بدورها من عدة أنماط، لكن أبرزها مثلما يرى " ميردوك" ثلاثة وهي : [1]

- **الأسرة النووية:** وهي النواة أو الخلية الأولى للمجتمع الإنساني، وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وتسمى أيضا الأسرة "الزواجية" أو "الأسرة الصغيرة ".
- **الأسرة متعددة الأزواج أو الزوجات** : وهي تجمع عائلتين صغيرتين أو أكثر بشرط أن يكون إما الزوج أو الزوجة مشتركا في أكثر من أسرة صغيرة واحدة، وحسب الدراسات التي قام بها " ميردوك " فإن الأسرة متعددة الزوجات هي الأكثر انتشارا من الأسرة متعددة الأزواج.
- **الأسرة الممتدة** : وتتكون على الأقل من عائلتين صغيرتين بحيث تكون إحداها امتدادا للأخرى، وهي تشكل أجيالا كجيل الأجداد والآباء والأحفاد.

وأخيرا فإذا كانت موضوعات الثقافة والبناء الاجتماعي ونظام القرابة موضوعات أساسية للدراسة الأنثروبولوجية، فإن هناك موضوعات أخرى لا تقل عنها أهمية مثل النظام الديني والنظام السياسي والنظام الاقتصادي. .الخ، وهي كلها محل للدراسة في مجال الأنثروبولوجيا.

الهدف من الدراسة في مجال الأنثروبولوجيا:

ومن خلال دراسته لهذه الموضوعات فإن علم الإنسان يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أهمها : : [2]

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث للجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية.

---

[1] - عاطف وصفي - **الانثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق**- ص 165- 166.
[2] - عيسى الشماس – **مرجع سابق** – ص 10.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، وفي سياق الترتيب التطوري لعلم الإنسان ' بدائي – زراعي- صناعي- معرفي- تكنلوجي)
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية. ..وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني، وربطه بالحاضر من خلال المقارنةوا إيجاد عناصر التغيير المختلقة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتم دراستها، والوصول بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

خصائص الأنثروبولوجيا و أهميتها في العصر الحالي:

و تكمن أهمية الأنثروبولوجيا فيما يميزها من خصائص ولعل ما يميز علم الإنسان عموما وعلى اختلاف التسميات المتداولة بين المدارس المختلفة هو اتجاهه لدراسة المجتمع ككل دون التركيز على جانب واحد فقط، وتعتبر هذه الخاصية إحدى أهم ما يميز علم الإنسان عن العلوم الاجتماعية الأخرى التي تركز على جانب واحد فقط مثل علم الاجتماع والنفس والسياسة. .الخ، فهو يتميز " بالنظرة الكلية الشاملة، أي المنهج الكلي التكاملي الذي يهدف إلى تحديد جميع عناصر الثقافة في مجتمع ما "[1]، أي أن الأنثروبولوجي عليه إذا اتجه لدراسة مجتمع معين أن يحيط بكل جوانبه المادية والمعنوية، فينظر في طريقة عيش الجماعة المدروسة وطرق تفكيرها، ومختلف طقوسها وعاداتها وتقاليدها، وكيفية بناء مساكنها وطريقة لباس أفرادها، وأنماط الحكم لديها...الخ، غير أن الإحاطة بكل هذه الجوانب يتطلب من الأنثروبولوجي أن يتناول بالدراسة مجتمعا مصغرا يتميز ببساطة تركيبته وعلاقات أفراده، لأن دراسة المجتمعات المعقدة في كليتها أمر غير ممكن، لذلك نرى تعددا للعلوم الاجتماعية التي يهتم كل واحد منها بجانب واحد فقط من هذه الجوانب، هذا الذي جعل علم الإنسان يتجه في بداياته الأولى لدراسة المجتمعات البدائية التي

[1] - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت - لبنان – دون سنة نشر – ص 11. (انظر أيضا :عاطف وصفي –**الأنثروبولوجيا الثقافية** – مرجع سابق- ص 16.)

تمثل البساطة في بنائها وعلاقاتها، " فقد اهتم الأنثروبولوجيون الأوائل بدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمعات البدائية إذ اجتذبتهم غرابة تلك المجتمعات واختلافها عن المجتمعات الأخرى وبخاصة المجتمعات الأوروبية. ..فكان أهم ما يبحثون عنه هو اللغات والعادات الغريبة التي تختلف وتتناقض مع لغات وعادات مجتمعاتهم الأوروبية المتمدينة، وأصبح هذا تقليدا على ممر السنين " [1].

غير أن القول بتميز الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات البدائية مقابل تخليها عن المجتمعات المتمدينة (المعقدة) لصالح العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة أصبح مجانبا للحقيقة في الوقت الراهن، " حيث انتشرت الدراسات الأنثروبولوجية الخاصة بالمجتمعات المتمدينة وخاصة القرى، وكذلك بعض الدراسات المختصة بتحديد معالم حضارات المجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الأمريكي والروسي والصيني، وقد بحث بعضهم في عمليات الصراع أو الامتزاج بين الحضارات المتقدمة التي تتلاقى في حالات الهجرة أو الحروب " [2].

إن نزول الأنثروبولوجي إلى عمق هذه المجتمعات البسيطة أو " شبه البدائية" من أجل دراستها في مختلف جوانبها البنائية والوظيفية يسلم إلى خاصية جوهرية لدى هذا العلم، وهي التركيز على الدراسة الحقلية والميدانية، فعلم الإنسان يقوم بجمع معطياته من الميدان من خلال عمليات الوصف والمقارنة التي يقوم بها الأنثروبولوجي لمختلف طرق العيش والتفكير والعادات والسلوكات والطقوس و والمظاهر التي تميز الجماعات المدروسة، لذلك كانت عملية الوصف والمقارنة أيضا إحدى الخصائص الجوهرية لعلم الإنسان.

التيارات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا

منذ أن استقرت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته برزت العديد من الاتجاهات تناول الأنثروبولوجيون انطلاقا منها مختلف الموضوعات الأنثروبولوجية، و لقد كانت نظرية التطور في مجال البيولوجيا و التي ساهم في إرساء دعائهما " تشارلز داروين" ملهما حقيقيا للأنثروبولوجيين

---

[1] - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** - نفس المرجع – ص10. (أيضا عاطف وصفي – الأنثروبولوجيا الثقافية – ص15)

[2] - **نفس المرجع** – ص 11.

الأوائل الذين تناولوا الثقافة و المجتمع بنظرة تطورية، لكن أسس التفسير تعددت باتساع الدراسات في الحقل الأنثروبولوجي و بروز اتجاهات و نظريات اجتماعية لها القدرة على التحليل و التفسير، ولعل أهم اتجاهات و نظريات دراسة الأنثروبولوجيا ما يلي :

1- التيار التطوري:

كان للاتجاه التطوري الفضل في احتضان الانثروبولوجيا حين نشأتها خلال القرن ال19م، فقد كان هم الأنثروبولوجيين آنذاك هو فهم الكيفية التي تنشا وتتطور من خلالها المجتمعات وثقافاتها، فموضوع البحث الأساسي بالنسبة للتطوريين هو التفسير التاريخي لمختلف المراحل التي مرت بها البشرية من خلال اكتشاف القوانين التي أتاحت عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وكان التطوريون يعتقدون بوجود مسيرة خطية واحدة تسير وفقها المجتمعات البشرية، وأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون مواجهة أشكال أخرى من التطور، لكن هذه النظرة لم تكن شاملة لجميع التطوريين، فقد رأى البعض أن التطور يسير بكيفية بطيئة ومتدرجة فيما رأى البعض الآخر أنه يسير بوتيرة مختلفة من مجتمع لآخر. [1]

وقد كان المجتمع الغربي بمثابة المرجع الأساسي في قياس درجة تقدم وتخلف المجتمعات، فالمجتمع الغربي يمثل قمة مراحل التطور، وبالمقابل تمثل المجتمعات الأخرى التي تقبع في درجات دنيا من التطور الأصول الأولى للتطور بالنسبة للمجتمع الغربي، هذا الذي سوغ عملية المقارنة بالنسبة للباحثين التطوريين، فكان المنهج المقارن أحد أهم المناهج البحثية لديهم. [2]

كان الأمريكي " لويس مورغان" (1818- 1883) أحد أهم أقطاب هذا الاتجاه من خلال أعماله التي تركزت على وجه الخصوص حول القبائل من سكان أمريكا الأصليين، وقد قدم مورغان إسهامات هامة حول حياة وثقافة هؤلاء السكان الذين عاش معهم، خاصة في عمله حول القرابة (أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية)عام 1870، ولهذا فقد كانت القرابة مدخلا أساسيا

---

[1] - جاك لومبار – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط1- 1997- ص ص 64- 67.

[2]- **نفس المرجع** – ص 67.

لدراسة التطور الاجتماعي، فقد تغيرت مصطلحات القرابة مثلا بصورة بطيئة، وأعطت إشارات لفهم المراحل المبكرة للتطور الاجتماعي. [1]

وفي كتابه المجتمع القديم الذي صدر عام 1877 يقر مورغان أن المجتمعات البشرية تمر بمراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا وفقا لمراحل التطور الثقافي، فكل المجتمعات حسب مورغان تخضع لقانون واحد خلال عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبهذا يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث مراحل تطورية هي : [2]

- **مرحلة الهمجية (التوحش)** : ويقسمها إلى ثلاث مراحل وهي مرحلة التوحش الدنيا ومرحلة التوحش الوسطى ومرحلة التوحش العليا، ويوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش والنظم الاجتماعية.
- **مرحلة البربرية** : وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل : دنيا ووسطى وعليا.
- **مرحلة المدنية (الحضارة):** وهي التي تتميز باختراع الكتابة والحروف الهجائية وهي مازالت مستمرة إلى اليوم.

كما يعد إدوارد تايلور (1832- 1917) أحد رواد هذا الاتجاه، لقد اهتم تايلور بالثقافة، وهو صاحب التعريف الشهير للثقافة والذي أورده في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871، وعلى الرغم من أنه انجليزي (بريطانيا معقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وليس الثقافية) إلا أنه ساهم في إضفاء قيمة أكبر على مفهوم الثقافة، لقد كان تايلور يؤمن أن " المسارات الثقافية التي سلكتها الشعوب لم يكن لها أن تتكرر أينما كان على وجه واحد عبر تلك الحركة الأحادية. ..فقد كشفت له خبرته الميدانية في المكسيك عن أهمية الاحتكاك الثقافي ومحاكاة الشعوب الأخرى، مما جعله يعتقد بإمكانية أن التطور قد يتم بناء على مساهمات خارجية، وأنه كان والحالة هذه أشد تنوعا مما يضن البعض." [3]

---

[1] - توماس هايلاند و فين سيفرت نيلسون – **مرجع سابق** – ص 37.
[2] - نفس المرجع – ص 37.
[3] - جاك لومبار – **نفس المرجع** – ص 74- 75.

ورغم اهتمام تايلور بجوانب الحياة الاجتماعية المختلفة إلا أنه اشتهر أكثر بدراسة المعتقدات الدينية، ففي البداية بدأ الإنسان بالتفكير في الروح الملازمة للإنسان ثم تدرج في التفكير حيث اعتقد أن هناك أرواحا تسكن الطبيعة تماما مثل الروح التي تسكن الجسد، وفي الأخير توصل الإنسان إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخيرة تعبر عن قمة تفكيره. [1]

غير أن مراحل التطور التي أوردها تايلور لا تمثل حتمية ملزمة مثلما كان عليه الأمر لدى لويس مورغان، فتايلور كان ورغم تصنيفه ضمن الاتجاه التطوري إلا أن آراءه وأفكاره كانت ذات صلة بالاتجاه الذي يقول بانتشار الثقافة، وقد عبر تايلور عن هذا من الناحية النظرية بهذه الفكرة :" غالبا ما انتشرت الحضارة أكثر مما تطورت " [2]

كما كانت إسهامات جيمس فرايزر (1854- 1941) ذات أهمية في مجال التطور، ولعل من بين إسهامات فرايزر ما قدمه في كتابه الضخم " الغصن الذهبي" الذي يضم اثني عشر مجلدا والذي صدر بين 1890و1915 بشكل متتابع، وفيه قدم نظرته حول مراحل تطور الفكر الإنساني الذي انطلق من السحر في محاولته السيطرة على الطبيعة ثم إلى الدين من خلال تفويض أمره إلى الآلهة، ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العلم. [3]

2- التيار التاريخي :

ويتزعمه العالم الألماني فرانز بواز (1858-1942) والذي كان رائدا لهذا الاتجاه في أمريكا وبفضله تم الانتقال من النظرة الخطية التطورية للتاريخ كما كانت عليه نظريات التطوريين إلى دراسة ثقافات محددة كثقافة العشائر و القبائل، مع التأكيد على ضرورة دراسة هذه الثقافات في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية، و الهدف من ذلك هو معرفة أصول و تواريخ الثقافات و تحديد خصائصها و لكن الهدف الأسمى يتجلى أخيرا في المقارنة بين هذه التواريخ والتي تميز هذه الثقافات من أجل الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نموها و تطورها[4].

---

[1] - **نفس المرجع** – ص ص 75- 78.

[2] - روبرت لوي – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007- ص 64.

[3] - جاك لومبار- **نفس المرجع** – ص 79-80.

[4] - عاطف وصفي – **الانثروبولوجيا الثقافية** – مرجع سابق – ص 43.

3- التيار الانتشاري :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاتصال بين الجماعات و الشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات الثقافية، فعملية الانتشار الثقافي تنطلق من مركز ثقافي إلى باقي المناطق كما أن الانتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة.

وتعتبر فكرة " المنطقة الثقافية " التي طورها "وسلر " (تلميذ بواز) أداة هامة في دراسة الثقافة و جوهرها تقسيم و تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية بناء على تشابه العناصر الثقافية التي تكونها، و المنطقة الثقافية إقليم يضم مجتمعات إنسانية متشابهة الثقافة، و من أجل تحديد و تمييز منطقة عن أخرى يتم تتبع مدى انتشار العناصر الثقافية المميزة لتلك الثقافة (طرق و أدوات الصيد، طهي الطعام، العناصر المشكلة لمختلف النظم.....) مثلما فعل الأمريكي "سابير" الذي حاول تحديد مدى انتشار عناصر " رقصة الشمس " عند هنود السهول بأمريكا الشمالية. [1]

وفي أنجلترا برز من يقول بوجود مركز للثقافة تنطلق منه إلى باقي أنحاء العالم، و خير مثال على هذا نظرة العالم " إليوت سميت" الذي رأى بأن مصر القديمة هي مركز كل الثقافات الحالية حيث انتشرت العناصر الثقافية من مصر إلى باقي أنحاء العالم، فقد كانت نظرة سميت هذه مؤسسة على تشابه الآثار المختلفة في العالم مع الآثار التي اكتشفها عالم الآثار " بتري" كنظم القرابة و فن التحنيط و عبادة الشمس. ...إلخ. [2]

4- التيار التناسقي التكاملي:

المنطق العام لهذا الاتجاه هو ضرورة النظر إلى الثقافة ككل متكامل يجمع بين الأفكار و المشاعر من جهة و السلوك الظاهر من جهة ثانية، و قد كان " سابير " من الممهدين لهذا الاتجاه من خلال نظرته للثقافة في صورة تفاعل الأفراد فيما بينهم، و ما ينتج عن ذلك من معان

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 44- 45.
[2] - **نفس المرجع** – ص 49- 50.

و مشاعر مشتركة، لذلك يعرف الثقافة بأنها" كل متكامل من أنماط فكر و عواطف و أنماط عمل"[1].

و تعد العالمة الأمريكية " روت بندكت" واحدة من أهم الممثلين لهذا الاتجاه، و يتجلى ذلك في قولها بأن "الثقافة مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر و العمل، كما أنه لفهم الثقافة لابد من الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلية و الشعورية السائدة فيها و القيم و الأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع الذي تتم فيه دراسة الثقافة"، ففي دراستها لبعض القبائل الهندية في جنوب غرب أمريكا الشمالية وجدت بندكت اختلافا بين القبائل، فمنها التي تركز على المظهر الخارجي للسلوك و تهتم بالطقوس و احترام العادات و التقاليد وأطلقت عليها اسم " ثقافات منبسطة "، و منها التي تتميز بالعدائية و تعطي للدافع النفسي الداخلي أهمية أكبر من العوامل الخارجية و أطلقت عليها اسم " ثقافات منطوية "، [2] فالوصول إلى فهم ثقافة ما لابد أن يأخذ في الاعتبار السلوك الظاهري في صوره المتكررة و مختلف الاتجاهات العقلية الشعورية في تناسقها و تكاملها.

5- التيار البنائي الوظيفي :

يعد البناء والوظيفة من المفاهيم المحورية في تحليل المجتمع، وفي الانثروبولوجيا الاجتماعية يشير مفهوم البناء الاجتماعي الذي طوره " رادكليف براون" إلى تلك العناصر التي ينسجم ويتكامل بعضها مع البعض الآخر بغرض الحفاظ على بقاء واستمرار هذا البناء.

لقد ارتبط الاتجاه البنائي الوظيفي بأسماء مالينوفسكي ورادكليف براون، فقد كان هذا العالمان وفي سياق نقدهما للنزعة التطورية والانتشارية يرفضان اللجوء للتاريخ، ولذلك كرسا جهودهما للتحليل الزمني الآني لعناصر الثقافة المختلفة في مجتمع معين وفي الوقت الحاضر، أي دون الاهتمام

---

[1] - **نفس المرجع** – ص 56- 57.
[2] - **نفس المرجع** – ص 57- 58.

بالسيرورة التاريخية لتطور العناصر الثقافية مثل العادات والتقاليد والمؤسات. ..ولكن بالبحث عن الوظائف التي تؤديها هذه العناصر داخل الجماعة المدروسة. [1]

وا ٍذا كان كل من براون ومالينوفسكي وظيفيين في اتجاههما العام من حيث تركيزهما على دراسة البنيات المجتمعية في زمنها الراهن، إلا أنهما اختلفا في نظرتهما لمفهوم الوظيفة، حيث كان مالينوفسكي يهتم أكثر بمفهوم الثقافة وتحديد الوظائف التي تؤديها، وفي المقابل اهتم براون أكثر بالعلاقات الاجتماعية أو البنية الاجتماعية، ذلك ما يعكس تأثره بالمدرسة الوضعية التي تزعمها إيميل دوركايم، والتي تؤمن بقدرة العلوم الاجتماعية على اكتشاف القوانين المتحكمة في الظواهر، بالإضافة إلى اتجاهه لاستعارة منهج البيولوجيا وتطبيقه على المجتمع. [2]

يرى براون أن المجتمعات هي كائنات بيولوجية، بمعنى أن هناك تشابها حقيقيا بين البناء العضوي والبناء الاجتماعي، وما على الباحث إلا أن يدرس عناصر البناء الاجتماعي بغرض الكشف عن تفاعلات هذه العناصر التي تشكل من خلال تفاعلها نسقا قائما بذاته، ثم يقوم بعد ذلك باستنتاج القوانين الوظيفية لمجتمع أو مجتمعات معينة، والانتقال بعدها إلى تعميمات عن طبيعة المجتمعات الإنسانية. [3]

6- تيار البنيوية الأنثروبولوجية:

أما البنيوية على الطريقة الفرنسية والتي كان كلود ليفي ستروس (1908- 2009) رائدا لها فقد اختلفت عن البنيوية الوظيفية كما فهمت وموروست من قبل أوائل الوظيفيين وعلى رأسهم براون ومالينوفسكي، فقد سعى ليفي ستروس ومن منطلق نزعته الفلسفية إلى محاولة معرفة " الإنسان الكامل" بجميع أبعاده، لذلك نراه يقر بتنوع الثقافات وخصوصياتها، بما يدعو لمعاينتها في أشكالها المجزأة، وبهذا فقد انطلق ليفي ستروس في دراساته العديدة (الأنثروبولوجيا البنيوية - البنى الأولية للقرابة – العرق والتاريخ- مدارات حزينة. .) من الاختلافات القائمة بين المجتمعات، هذه

---

[1] - عبد الوهاب جعفر – **البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها**- دار المعارف – الاسكندرية – 1980- ص20.
[2] - جاك لومبار – **نفس المرجع** – ص ص 233- 236.
[3] - عبد الوهاب جعفر – **نفس المرجع** – ص 21.

الاختلافات التي رأى أنها ذات طابع تكاملي، لهذا كانت الأنثروبولوجيا بالنسبة إليه بمثابة علم الاختلافات المتكاملة التي تبحث عما هو جامع في الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات. [1]

يبحث الأنثروبولوجي وفقا لنظرة ليفي ستروس البنيوية عما يتخفى وراء العقل، أي عما وراء العقلي والشعوري، وعن الذي يتخفى خلف التنظيم المجتمعي، وخلف الممارسات والمعاش اليومي، فهناك شيء مشترك حسب ليفي ستروس نجده عند كل إنسان مهما كان أصله ومهما كانت ثقافته، وهو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، إن الشيء الذي يريده ليفي ستروس بالذات هو البحث فيما وراء النظم والبنيات الظاهرة، في النفسيات الجماعية التي تحكم الجماعات بالذات. [2]

يستعير ليفي ستروس من الألسنيين طريقة عملهم ليطبقها على المجتمع، فطريقة عمل الألسنيين كما نجدها عند دوسوسور وتروبتسكوي وجاكبسون تقوم على استخراج معنى الكلام من ذلك الاتساق الذي يحدث بين العناصر الصوتية (فونيمات)، فترتيب هذه الأجزاء أهم للفهم من تعقب تكوينها وتطورها التاريخي. [3]

بهذه الطريقة يتم تطبيق " المنطق الألسني" على المجتمع في مجال الانثروبولوجيا وخاصة على بعض النظم الأساسية كنظام القرابة ونظام الأسطورة وهي الموضوعات المفضلة لدى ليفي ستروس، وبالإضافة إلى هذا نجد أن هناك تقاربا بين " الفونولوجيا"(علم وظائف الأصوات اللغوية) من جهة وبين مصطلحات وتسميات القرابة من جهة ثانية، فهذه التسميات تتشكل على مستوى اللاوعي من خلال استخدام أزواج تضادية وعناصر تفاضلية (أب – إبن، أخ – اخت، زوج – زوجة. .)، ويصل ليفي ستروس إلى إبراز أهمية الاتصال والتبادل في مجال الأنثروبولوجيا، فوجد أن هناك ثلاثة مستويات من التبادل، يتصل المستوى الأول بقواعد القرابة والزواج ويتصل المستوى الثاني بالقواعد الاقتصادية، أما المستوى الثالث فيتصل بالقواعد اللغوية. [4]

الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال

---

[1] - جاك لومبار – **نفس المرجع** – ص ص 265- 267.
[2] - **نفس المرجع**- ص 268.
[3] - **نفس المرجع**- ص ص 272- 274.
[4] - **نفس المرجع**- ص 274- 275.

1 - علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار:

يربط الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية نشأة الأنثروبولوجيا بظاهرة الاستعمار الحديث، فقد كانت نشأة هذه الأخيرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بما يتزامن مع هبة الدول الرأسمالية الغربية للبحث عن مجالات جديدة وراء البحر من أجل تحصيل المادة الخام للمصانع المتزايدة في أوروبا، وبالمقابل تسويق ما أصبحت تنتجه هذه المصانع باستمرار، وبغض النظر عن الجذور التاريخية للأنثروبولوجيا والتي تمتد في العصور القديمة من خلال عمليات وصف ومقارنة الخصائص المختلفة للشعوب والأجناس، ذلك الذي مارسه هيرودوت اليوناني أو ابن بطوطة وابن خلدون من المسلمين خلال رحلاتهم المختلفة ومعايشاتهم لمختلف الأعراق البشرية، فإن ميلادها بالمعنى " العلمي" كان متزامنا مع اشتداد عود الثورة الصناعية في أوروبا، لقد كانت هذه الفترة مهدا لنشأة العلوم الاجتماعية عموما، من أجل التصدي للمشكلات والظواهر التي أفرزتها تلك المرحلة، فإذا كان علم الاجتماع مثلا قد نشأ من أجل حل المشكلات الاجتماعية التي برزت خلال الثورة الصناعية داخل المجتمعات الأوروبية، فإن الأنثروبولوجيا القريبة جدا من علم الاجتماع قد تم إنشاؤها وتطويرها بغرض فهم المجتمعات غير الأوروبية، من أجل مساعدة الأوروبيين على التوسع خارج أوروبا من خلال ظاهرة الاستعمار، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أصبحت ظاهرة الاستعمار تمثل رابطا حقيقيا بين مختلف الشعوب، فقد حدث منذ هذا التاريخ " أن احتكت الحضارات المختلفة بعضها ببعض، وأخذت تبرز الفروقات الثقافية المتنوعة لدى الشعوب، وشملت هذه الفروقات الممارسات والمعتقدات الدينية والقيم الحضارية والمسلك الاجتماعي، كما شملت أنماط العيش المتنوعة من مأكل وملبس ومسكن، مضافا إليها الفروقات في اللغة والأدب، وفي التنظيم الاقتصادي والاجتماعي." [1]

ومع سيادة النزعة التطورية في تفسير الظواهر خلال نشأة الأنثروبولوجيا استقر لدى الأوروبيين أن " الحضارة البشرية كلها تتطور حسب نظم وقواعد ثابتة وموحدة لاتتغير باختلاف المكان والزمان" [2] هذا يعني أن الشعوب البدائية تمثل المراحل الأولى في التطور بالنسبة

---

[1] - فؤاد إسحاق الخوري - **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون** - دار الساقي - بيروت، لبنان - 1992 - ص7.
[2] - **نفس المرجع** - ص 11.

للمجتمعات المتقدمة، لتكون بذلك صورة المجتمعات البدائية في إفريقيا وأستراليا وأمريكا أصلا حضاريا للشعوب الأوروبية المتقدمة.

يمثل هذا نوعا من " التبرير العلمي" لاندفاع الأوروبيين نحو فهم تركيبة وثقافة المجتمعات الأخرى، بما يظهر نوعا من التوافق بين الأنثروبولوجيا والاستعمار، بين أيديولوجية الاستعمار وأيديولوجية العلم الجديد (الأنثروبولوجيا)، لقد عمدت هذه الأيديولوجية التي ترتدي ثوب العلم إلى تسفيه ثقافة الشعوب الأخرى، باعتبارها ثقافة بدائية تحتاج إلى تطوير، هذه الثقافة البدائية التي تمثل الخرافة مقابل " الموضوعية العلمية" التي تبشر بها الأنثروبولوجيا، فعلى النظرية الأنثروبولوجية أن تتحمل مسؤولية إزاحة الخرافة من خلال تقديم تفسير " علمي" لها، " فالنظرية الأنثروبولوجية هي النظرية الوحيدة " المعقلنة " من هذه الزاوية، لا الثقافة البدائية بحد ذاتها، عقلنة هذه الأخيرة ممكنة بواسطة سواها لا بذاتها، إن الخرافة والحق يقال لا تدرك شيئا، وعقلنة الثقافة البدائية تنحل بشكل ما في الممارسة الأنثروبولوجية القادرة على العقلنة. ..وفي اللحظة التي نتمكن فيها من فهم الخرافة، تكون الأنثروبولوجيا قد قضت عليها "[1].

يصف جيرار لكلرك الأنثروبولوجيا بأنها ممارسة جديدة تستمد معناها من داخل "الاستعمار العلمي" لا غير، غرضها الأساسي هو " إما وصف شروط الوجود البدائي في المرحلة السابقة على دخول الاستعمار، بحيث تصف نمط هذا الوجود قبل أن يصار للقضاء عليه، أو أنها ستتناول شروط هذا الوجود كما خلقه الاستعمار، وبذلك يتحول حقلها إلى دراسة التغير الاجتماعي أو التثاقف "[2]، ويرى لكلرك أن الأنثروبولوجيا تعمل على تسويغ الاستعمار وتقديمه كحتمية " علمية" غرضها إجلاء " البدائية " عن الشعوب المستعمرة إدخالها في مسيرة التقدم.

وا إلى جانب الشق الأيديولوجي للاستعمار الذي يتم تبريره من قبل الأنثروبولوجيا، يتم أيضا وبالمقابل تبرير الشق القمعي له، " فإذا امتاز الاستعمار بالعنف والنهب، فهوعنف " معقلن " أي أنه شرعي وضروري.وا إذا كان العالم قد عرف الاستعمار منذ القدم (الفينيقيين واليونان. .الخ) فإن

---

[1] - جيرار لكلرك - **الأنثروبولوجيا والاستعمار**، - ترجمة جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان - ط2 - 1990 - ص32.

[2] - **نفس المرجع** - ص 36-37.

ميزة الاستعمار الحديث ليست التعالي، بل إنه حدث يسوغه تفوق المجتمع العلمي خاصة في مجال العلوم الاجتماعية "[1].

وبالرجوع إلى الجانب الأيديولوجي فإن " أدلجة " العلم لصالح الاستعمار تمت من خلال الاحتماء ببعض المفاهيم الكاذبة، نجد ذلك مثلا في المفاهيم التي قدمتها المدرسة الوظيفية والتي تؤشر على أن الاستعمار لا يمثل نظاما أيديولوجيا بقدر ما يمثل حقيقة واقعية نجد لها صدى في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المجتمعين الغربي (الاستعمار) والبدائي (الشعوب المستعمرة)، من هذه المفاهيم نجد الاحتكاك الثقافي، التثاقف، الصدمة الثقافية، التغير الثقافي. ..الخ.[2]

يرى لكلرك أننا لانجد خلف مفهوم التثاقف مثلا مثلما حددته الأنثروبولوجيا الكلاسيكية غير الاستعمار المعاصر، لذلك نراه يرجع إلى بعض آراء جاك بيرك لتأكيد هذا الموقف حيث يرى بيرك أن " هدف علم اجتماع الاستعمار كان السيطرة على الدوام، وكل المقولات التي تم التشدق بها حول أثر "احتكاك" الثقافات لم تكن أكثر من زينة زائفة ليحقق هدفه في الدرجة الأولى وتبرير الفساد الذي يحدثه "[3].

ويمكن الرجوع إلى الحضور اللافت والمدروس لبعض المقولات والمفاهيم عند بعض منظري الاستعمار مثل مفهوم " الحماية" الذي يحل محل مفهوم الاستعمار لدى " روبير مونتاني" الذي ركز دراساته في البلاد العربية الخاضعة للاستعمار، مع الاهتمام بالمغرب كميدان خصب للدراسة الأنثروبولوجية، يلعب مفهوم الحماية "على صعيد الأيديولوجيا الدور الذي يجعل ظاهرة الاستعمار مقبولة، لا عند من هو محل لها فحسب، بل عند من يمارسها أيضا "[4]، ويعمل هذا المفهوم على هذا الصعيد على تلميع صورة الاستعمار، فالاستعماروا إن كان يمثل كيانا جديدا (من الناحية الاجتماعية والثقافية) إلى جانب الكيان المحلي، فإن ذلك مفيد للمجتمعات التي تخضع للاستعمار، إن هذا الالتقاء يعبر عن صدمة حضارية نتيجة اللقاء بين حضارتين مختلفتين، تتغير إثرها البنى التقليدية للمجتمعات المستعمرة، بفعل قوة خارجية تفرض ثقافة جديدة وأنماطا من

---

[1] - **نفس المرجع** - ص 37.
[2] - **نفس المرجع** - ص79-80.
[3] - **نفس المرجع** - ص89.
[4] - محمد وقيدي - **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا** - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط3 -2011 - ص 236.

العلاقات جديدة أيضا على كافة المستويات الاجتماعية، " إن النتيجة الفورية لهذا الفرض من الخارج أن التغير المجتمعي الحادث على البنيات المجتمعية لهذه المجتمعات التقليدية يسير في تطوره بوتيرة غير عادية، فتجد هذه البنيات ذاتها مضطرة إلى أن تنتقل عبر جيل واحد أحيانا من مرحلة القبيلة إلى مرحلة المدينة ثم إلى مرحلة الدولة وهو الأمر الذي تطلب في حضارات أخرى قرونا من الزمن" [1].

يدخل هذا ضمن أسطورة " التمدين " التي دأب منظرو الاستعمار على الاختباء خلفها من أجل التمكين لبقاء النظام الاستعماري والحفاظ على الوضع القائم، لقد كان للنظام الاستعماري منظروه الذين يعملون على توفير المعرفة الكافية بالشعوب المستعمرة كعامل أساسي للسيطرة، فالأبحاث الأنثروبولوجية التي تمت على هذه الشعوب لم تكن منفصلة عن مخططات وأهداف الاستعمار، بل كانت موجودة في صلب هذه المخططات والأهداف، " لقد بدأت الهيمنة الاستعمارية تدرك أن حكم -الأهالي- لا يستقيم إلا بمعرفة معمقة للغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، والعلوم الاجتماعية الاستعمارية هي التي كانت تمد السلطات الاستعمارية بهذه المعرفة الضرورية للحفاظ على هيمنتها، ولضمان استمرار هذه الهيمنة " [2].

لقد كانت المعرفة التي يتم تحصيلها عن طريق البحث الأنثروبوجي تقدم على طبق لكبار ضباط الجيش والساسة في النظام الاستعماري، يسوغ ذلك أن كثيرا من الباحثين أمثال " روبير مونتاني" و "جاك بيرك" كانوا موظفين لدى السلطة الاستعمارية. [3]

لا يكتفي باحثو الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا الاستعمارية بمجرد وصف الشعوب المستعمرة بغية تكوين معرفة بها، ولكن هذه المعرفة يتم الحصول عليها عن طريق استدعاء المناهج المختلفة التي توفرها هذه العلوم، يمكن أن نلمس هذا في بعض الجوانب التي أتى عليه " روبير مونتاني" في بحثه " التطور الحديث للبلاد العربية "، حيث يرى مونتاني أن الشعوب ذات الحضارات العريقة مثلما هي حال البلاد العربية قد وجدت نفسها في صدام مع الحضارة الغربية التي حلت على هذه

---

[1] - **نفس المرجع** - ص 236.
[2] - **نفس المرجع**، - ص 230-231.
[3] - **نفس المرجع** - ص 231.

الشعوب عن طريق الاستعمار، هذا الصدام تولد عن وعي هذه الشعوب بضرورة الحفاظ على هويتها التي تشكلت خلال قرون طويلة، وهنا يقترح مونتاني اتباع منهج تاريخي من أجل تشكيل معرفة بأصول بنيات هذه الشعوب، ومن أجل مقارنتها مع بنيات المجتمعات الغربية. [1]

2- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال:

لقد كان الهدف من العمل الأنثروبولوجي لدى هؤلاء الأنثروبولوجيين هو تفكيك البنيات الاجتماعية والثقافية لهذه الشعوب باستخدام المناهج التي أتاحتها المنهجية العلمية في مجال العلوم الاجتماعية، وبما يجعل المعرفة التي يتم إنتاجها معرفة عميقة من شأنها أن تساعد النظام الاستعماري في بسط هيمنته على هذه الشعوب، لكن هذا لا يعني أن المعارف المقدمة حول هذه الشعوب هي معارف صادقة بالمرة، ذلك أن عمليات التنظير كثيرا ما انحرفت عن الواقع بحيث حاولت تشكيل "واقع مثالي" يخدم بالكاد الإدارة الاستعمارية ولا يمت إلى "الواقع الموضوعي " بأية صلة، ذلك ما نلمسه فيما قدمه "فيليب لوكا " و" جون كلود فاتان " في كتابهما " جزائر الأنثروبولوجيين" حول الأنثروبولوجيين المزيفين الذين قدموا صورة خيالية عن المجتمع الجزائري خدمة للمصلحة الاستعمارية.

ومما حاول الاستعمار إقراره في الجزائر والمغرب العربي عموما تقسيمه للمجتمع إلى أجزاء متصارعة كالقبائل والعرب والسكان المستقرين والرحل. ..، فالفرضيات التي كان ينتجها الباحثون الأنثروبولوجيون كانت " متطابقة مع فرضيات السياسة الاستعمارية التي تعتبر أن السكان المستقرين سيكونون أقل رفضا للتدخل الاستعماري، كما كان التدخل يسعى إلى استغلال التنوع الإثني استغلالا سوسيولوجيا "" [2].

لقد أنجز الباحثون الانثروبولوجيون بحوثهم ونظّروا لمجتمعات المغرب العربي ببذلة عسكرية، فلقد كان النموذج السائد في مجال البحث هو نموذج الباحث العسكري الذي يستخدم العلم من أجل المصلحة الاستعمارية، ومن أهم التجارب البحثية في هذا السياق ما ذكره جاك بيرك

---

[1] - **نفس المرجع** - ص 232- 233.

[2]- محمد نجيب أبو طالب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، لبنان - 2002 - ص 35- 36

في مقال له بعنوان " مائة وخمس وعشرون سنة من علم اجتماع الشمال إفريقي " ونقلها عنه محمد نجيب أبو طالب " الأعمال البحثية التي أنجزها كل من هانوتو ولاتورنو وغوتي وكاريت وبيليسي حول الجزائر ومونتاني حول المغرب " [1]فكاريت وبيليسي (" carette et pelissier") اضطلعا رفقة عسكريين آخرين ببحث واسع النطاق حول الجزائر جمعوا خلاله معلومات غزيرة قدرت ب" قرابة أربعين مجلدا " [2] وخلال هذا البحث " استدعيت التخصصات والعلوم كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والفيزيائية والحفريات لكي توفر نظرة أمينة ما أمكن عن الآخر أي هذا العربي أو هذا البربري بما أنهم ينكرون عليه أية تسمية أخرى " [3]

وقد وجدوا بموضوعية زائفة أن الجزائري همجي متوحش بعيد عن الحضارة، وذلك من خلال استقصاء العديد من النقاط التي تعتبر مكمن التخلف الأساسي وعلى رأسها المرأة والدين والجمعيات الدينية، كما تم تناول هذه النقاط والقضايا من خلال بعض الثنائيات ومقابلة أطرافها بوصف الطرفين ومقارنتها مع تغليب الكفة التي تخدم السياسة الاستعمارية كمقابلة العرب بالبربر ووضع المرأة في الشريعة والحياة والمرأة العربية والبربرية. ..الخ.

ومن الأطروحات التي حاول الاستعمار اللعب عليها في سياق عملية التفريق بين أهل البلد الواحد نجد محاولات التفريق بين العرب والبربر في الجزائر مع محاولة تقريب البربر ليكونوا بمثابة حليف داخلي وخاصة عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر لأن هذا " البربري" لم يعد يحظى بذات القيمة في الكتابات الانثروبولوجية الاستعمارية عند استقرار الاحتلال حتى لا يكون منافسا للمعمرين كعنصر جديد يريد فرض ذاته وهويته على الأرض الجزائرية، وقد وردت خلال هذه الأطروحات بعض المعلومات تقضي بأن " العربي يتميز بشعر وعينين سوداوين، أما القبائل فأغلبهم ذوو عينين زرقاوين وشعر أشقر وأشد بياضا، كما يتميز العربي بكرهه للعمل فهو كسول، ولا يهتم طوال السنة إلا بإشباع شهواته، أما القبائلي فهو يعمل ويكد طوال الموسم ويعتبر الكسل عارا مهينا " [4]، إضافة إلى هذا تزيد هذه الأطروحات أن هناك عداوة وكرها بين العرب والبربر،

---

[1]- **نفس المرجع** - ص 34.

[2]- فيليب لوكا وجون كلود فاتان - **جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجياالكولونيالية** - ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال - الجزائر - ص 09.

[3]- **نفس المرجع** - ص09.

[4]- **نفس المرجع** - ص 113- 114.

فالواقع يبرز بشكل واضح – حسبهم – أن " القبائلي يكره العربي والعربي يكره القبائلي، فهذا المقت المتأجج لا يمكن تفسيره إلا بشعور تقليدي توارثته الأجيال، كره بين عرق الغزاة (أي العرب) والعرق المقهور (أي القبائل) " [1]، كما أن عملية التفريق بين العرب والبربر تمت أيضا على مستوى المرأة فوصفت المرأة " القبائلية " بالنظافة مقابل وصف المرأة العربية بالقذارة : " المرأة العادية عند العرب عموما قذرة، أما المرأة القبائلية فهي أكثر نظافة وتعد هندامها مرتين في اليوم، في الصباح تنظف جسمها، وفي المساء تكثر من عملية الزينة والحنة " [2].

3- الممارسة الأنثروبولوجية في الجزائر بعد الاستقلال:

لقدت أدت الممارسة الانثروبولوجية على هذا النحو إلى اتجاه البعض في البلدان التي خضعت للاستعمار ومنها الجزائر ل "معاداة " الأنثروبولوجيا خاصة بعد استقلال هذه البلدان باعتبارها علما استعماريا، فقد كانت الأنثروبوبولوجيا كفرع معرفي تسير جنبا إلى جنب مع الدبابة والمدفع ولذلك كان التحرر من الاستعمار يقتضي بالضرورة التحرر من الإرث الكولونيالي في مجال الأنثروبولوجيا، بل واستبعاد هذا الفرع المعرفي الذي انتهى دوره بانتهاء الاستعمار، وهذا ما كان في الجزائر فعلا حيث " قررت الحكومة الجزائرية عدم تدريس الأنثروبولوجيا. .، وعدم الاعتراف بها والعمل على إقصائها من دائرة المعارف الاجتماعية والإنسانية. بل وصل الأمر إلى نعت كل باحث مهتم بهذا العلم بأنه من أتباع الايديولوجيا الكولونيالية.." [3] وقد استمر غياب الأثروبولوجيا كفرع معرفي عن الجامعة في الجزائر إلى غاية الثمانينات التي شهدت حراكا ثقافيا وسياسيا ليعود بعدها " كفرع معرفي قائم بذاته حيث أُدرج في بعض الجامعات كتخصص أساسي، مثل جامعة تلمسان، حيث فُتح لأول مرة في تاريخ الجزائر معهد وطني يتكفل بدراسة التراث الشعبي وتدريس الأنثروبولوجيا، هو "المعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشعبية" وكان ذلك في

---

[1]- **نفس المرجع** - ص 118.
[2]- **نفس المرجع** - ص 118.
[3] - محمد سعيدي – **الانثروبولوجيا والتراث الشعبي في الجزائر** – جريدة السفير العربي اللبنانية – يوم 03-12-2015 - عدد 171.
الرابط : http://assafirarabi.com/ar/4440/2015/12/03/الأنثروبولوجيا-والتراث-الشعبي-في-الج/#

العام 1984. كما عرفت بعض المراكز البحثية نشاطا انثروبولوجيا مميزا، مثل "المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية" بوهران، و "المركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا" بالجزائر." [1]

يعكس إقصاء الانثروبولوجيا بعد الاستقلال نوعا من التعصب لصالح نزعة " وطنية " ضيقة لا ترى في الأنثروبولوجيا سوى الحليف التقليدي للاستعمار، غير أن الممارسة الانثروبولوجية أبعد من ذلك بكثير إذ أنها أداة فقط في يد من يستعملها، فبالقدر الذي كانت فيه الأنثروبولوجيا أداة في يد الاستعمار يستخدمها في الهيمنة والسيطرة على الشعوب، فإن الباحثين الذين ينتمون للبلدان التي خضعت للاستعمار يستخدمونها أيضا في فهم المشكلات المتصلة بالتنمية الثقافية والاجتماعية، فهناك الكثير من القضايا تطرح نفسها للمعالجة الانثروبولوجية اليوم مثل قضية التباينات والصراعات العرقية،وا إشكالية الهوية، ومسألة الاندماج الاجتماعي والثقافي، والعولمة الثقافية. .الخ.

منهج البحث والتقنيات المستعملة في الأنثروبولوجيا

مناهج البحث الأنثروبولوجي :

تشترك الأنثروبولوجيا مع كثير من العلوم في العديد من المناهج والطرق البحثية، لكنها تتميز بتركيزها على بعض المناهج والطرق باعتبار طبيعتها وموضوعها الخاص(دراسة الإنسان في جميع جوانبه دراسة ميدانية)، ولهذا نجد الأنثروبولوجيا تستخدم المناهج التي تستخدمها العلوم الاجتماعية عامة، بل وحتى بعض المناهج المستخدمة في حقل العلوم الطبيعية مثل المنهج التجريبي، ويرجع هذا إلى اشتمال الأنثروبولوجيا على دراسة الشق الفيزيقي في الإنسان إلى جانب الشق الاجتماعي والثقافي، غير أن الأنثروبولوجيا بإمكانها استخدام المنهج التجريبي حتى في شقها الاجتماعي والثقافي، باعتبار أن المنهج التجريبي هو المنهج الذي عملت العلوم الاجتماعية وخاصة في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على استعارته عند محاولة التأسيس العلمي لها، وفي هذا الصدد نجد دعوة أوائل علماء الاجتماع لاستخدام هذا المنهج، كما نجد بعض مؤسسي

---

[1] - **نفس المرجع.**

الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضا يدعون لاستخدامه وعلى رأسهم رادكليف براون الذي ينظر للمجتمع باعتباره نسقا طبيعيا، أي أنه محكوم بقوانين كتلك التي تحكم الطبيعة، غير أن اتصال الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجانب الثقافي والأخلاقي جعل الباحثين في هذا المجال يركزون أكثر على بعض المناهج المناسبة لطبيعة هذا الفرع المعرفي، ولعل من بين أهم المناهج التي تستخدم في الدراسة الأنثروبولوجية ما يلي :

1 - المنهج التاريخي:

يعتبر المنهج التاريخي أحد أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية والثقافية بشكل خاص، لذلك يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم " التاريخ الثقافي"، ويرى " ميتلند" أن الأنثروبولوجيا عليها أن تختار بين أن تكون تاريخية أو ألا تصبح شيئا على الإطلاق، وهي نفس رؤية " بيركت سميت " الذي يرى أن الحاضر لا يمكن فهمه إلا كنتاج للماضي "، وبذلك فإن "المشكلة الإثنولوجية " كما يتصورها سميث هي مشكلة تاريخية في جوهرها. [1]

وتتجه الأنثروبولوجيا مثلما يرى " سابير" ليعترف بها بأنها علم تاريخي أساسا، ذلك أن المعلومات التي يتم الحصول عليها لا يمكن فهمها في ذاتها أو في صلتها ببعضا البعض، ولكن بوصفها نهاية تتابع معين للأحداث، لذلك لابد من توافر نوع من الفهم التاريخي للوقائع باعتبارها الهدف الإثنولوجي الخاص بالباحث. [2]

ويعتبر البحث التاريخي للثقافة مطلبا هاما وأساسيا في مجال الانثروبولوجيا الثقافية، ذلك ما يبين الاهتمام الواضح بنشأة الثقافة وتطورها وأصولها، وعملية إعادة بناء الثقافة، وكذلك الكشف عن التتابع الزمني الذي حدثت فيه احتكاكات واتصالات ثقافية بين الجماعات والشعوب. [3]

كما أن الاهتمام بتاريخ الإنسان هو أحد المصادر الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية، ويتضح ذلك في الدراسات المقارنة للمجتمعات والنظم الاجتماعية، وفي محاولة إعادة بناء تاريخ

---

[1] - مصطفى عمر – **إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا** – ضمن كتاب جماعي بعنوان : قضايا العلوم الانسانية، إشكالية المنهج – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – دون سنة نشر – ص 109- 110.

[2] - **نفس المرجع-** ص 110.

[3] - **نفس المرجع-** ص 110- 111..

مجتمعات معينة، كما يتضح أيضا في اتجاه المدرسة الأمريكية للأنثروبولوجيا نحو الاهتمام بالمصادر التاريخية فيما يعرف ب" الذاكرة الثقافية" وهي تشير إلى الاعتماد على ذاكرة كبار السن من القبائل الهندية للحصول على معلومات من هذه القبائل. [1]

2- المنهج المقارن :

ينطبق المنهج المقارن عل الأنثروبولوجيا بجميع فروعها ومجالاتها الدراسية، فأي بحث انثروبولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين متغيرن أو أكثر، ويقصد بالمنهج المقارن في مجال الانثروبولوجيا دراسة الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات، ومقارنة النظم الاجتماعية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها، أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض. [2]

وتتحدد مجالات المقارنة في الدراسة الأنثروبولوجية في النقاط التالية : [3]

- دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي.
- دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة.
- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات (تنظيمات سياسية – بيروقراطية – صناعية – مهنية. .الخ)، وكذلك دراسة النظم الاجتماعية المختلفة (الزواج- الأسرة – القرابة...)وذلك في مجتمعات مختلفة.
- تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها، وخاصة من خلال النمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية.

وفي الدراسات الأنثروبولوجية الحقلية يميل بعض الانثروبولوجيين وخاصة في مجال الانثروبولجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات، هذا الذي يعرف ب " تقليد مالينوفسكي"، لأن مالينوفسكي كان يرى أن فهم ثقافة شعب من الشعوب البدائية لا يمكن

---

[1] - **نفس المرجع**- ص 112.
[2] - **نفس المرجع**- 113.
[3] - **نفس المرجع**- 113- 114.

له أن يكون إلا من خلال دراستها دراسة معمقة، لذلك دعا إلى ضرورة تخصص الباحث الواحد في مجتمع واحد فقط أو على الأكثر ثلاثة مجتمعات لا يزيد عليها، وذلك ما كان لمالينوفسكي حيث قضى أربع سنوات كاملة في دراسته لقبائل " التروبرياند" بمنطقة "ميلانيزيا" تعلم خلالها لغة الأهالي وتعمق في حياتهم الاجتماعية، لكن هذه الطريقة- ولاشك – تتعارض مع إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية المختلفة. [1]

يلاحظ إيفانز بريتشارد هذا التعارض ويدعو إلى نوع من المقارنة من خلال قيام كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته لمجتمع واحد، ثم يقوم هذا الباحث أو باحثون آخرون بالتحقق من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهذا ما قام به " شنيدر" حين فحصه للنتائج التي توصل إليها " بريتشارد " في دراسته لقبائل " النوير " من خلال تطبيقها على قبائل " الزولوا". [2]

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه المقارنات التي قام بها هؤلاء العلماء تمت في سياق " أكاديمي"، وهي بذلك تختلف عن تلك المقارنات التي رافقت الانثروبولوجيا "التقليدية" التي أقامها الرحالة والمبشرون والعسكريون والتي كانت غير موضوعية في أساسها.

3- المنهج البنائي الوظيفي :

رغم محاولة ابتعاد الاتجاه الوظيفي عن تلك المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها " البنائي"، إلا أن المقارنة بقيت لها قيمتها في التحليل الوظيفي، فقد رأى بعض العلماء أن الاتجاه الوظيفي هدفه هو التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم في المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة، وتصنيف المجتمعات من أجل إدراك نقاط التشابه بينها، لهذا حاول الاتجاه الوظيفي المزاوجة بين التحليل الوظيفي والمقارنة في الدراسات

---

[1] - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق** – ص 292- 293.
[2] - **نفس المرجع** – ص 293.

الانثروبولوجية، من خلال محاولة تناول الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي، وكذلك التعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام بالنسبة للبناء الاجتماعي الكلي. [1]

ولقد عارض مالينوفسكي نظرة بعض العلماء خاصة المنتمين منهم للمدرسة الأمريكية، والذين ينظرون للثقافة باعتبارها مجموعة من العناصر المنفصلة والمتباينة من حيث نشأتها، حيث رأى مالينوفسكي وبنظرة - وظيفية – أن كل ثقافة هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل شبيه بالكائن الحي لا يمكن فهم جزء منه إلا بالرجوع إلى الأجزاء الأخرى، كما سعى مالينوفسكي إلى تحديد الوظيفة النهائية للثقافة الإنسانية، في الوقت الذي يوجه رادكليف براون نظرته للمجتمع وليس للثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتألف من أجزاء متداخلة وظيفيا هدفها وصف وتصنيف الأبنية والظواهر المجتمعية، والوصول بالتالي إلى صياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية. [2]

4 - الإثنية المنهجية :

وقد عمل هارولد غرفينكل harold garfinkelخلال الستينات على تأسيس ما سمي ب" المنهجية الإثنولوجية" éthnométhodologie لتشكل منهجا تحليليا متميزا في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وقد راحت الإثنوميثودولوجيا تهتم " بالدراسات الميكروسوسيولوجية، وبالأبحاث الميدانية،. .وتركيزها على دراسة التفاصيل الصغيرة، مع إسقاط للتحليل النظري والاستعاضة عنه بالوصف الدقيق للمشهد الميداني مع اهتمام كبير بتفسيره" [3] . ومن خلال كتابه "دراسات في المنهج الإثني " الصادر عام 1967 حاول غرفينكل أن يفهم الطرق التي يعمل بها الأفراد وكيفية تصرفهم خلال المواقف التي تعترضهم في الحياة، بما يملي على عالم الاجتماع والأنثروبولوجي ليرجع إلى الفرد ذاته في اتصاله بالعالم الاجتماعي من أجل الفهم، وكان غارفينكل ومن خلال " الإثنية المنهجية " متأثرا إلى حد بعيد بما طرحه "ألفرد شوتز " والذي يمثل تيار الفينومينولوجيا في علم الاجتماع.

---

[1] - مصطفى عمر – **نفس المرجع** – ص 116- 117.
[2] - **نفس المرجع** – ص 117- 118.
[3] - مها كيال – **"**السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية **"**- مجلة الثقافة الشعبية - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – البحرين –عدد29- ربيع 2015– ص18.

لقد اتبع غارفنكل شوتز من خلال منهجية تحليلية تعتمد على محاولة فهم الحياة اليومية للأفراد، وحاول غارفنكل دراسة المناهج والطرق المستعملة من قبل أفراد المجتمع بغرض بناء وتفسير العالم الاجتماعي، ومن هذا المنطلق كانت مهمة الإثنوميثودولوجيا هي الاهتمام بكيفية تنظيم الفرد لحياته في المجتمع بما يضفي معنى على مختلف الأنشطة التي يقوم بها، " فالباحث الإثنوميثودولوجي" يستفيد من هذه الطرق والأساليب التي يستخدمها أفراد الجماعة من أجل فهم عملية التفاعل الاجتماعي وفهم المعاني المختلفة للفعل الاجتماعي. [1]

ويمكن التفريق بين المنهج الإثنوميثودولوجي وباقي المناهج الوضعية في أن الإثنوميثودولوجيا هي محاولة لفهم أفراد الجماعة من الداخل من خلال تصوراتهم العقلانية التي يكونونها خلال عملية التفاعل مع الآخرين، وكذلك من خلال المعاني الذاتية التي يضفيها هؤلاء الأفراد على أفعالهم، فمحاولة الفهم بالنسبة للباحث من خلال هذه المنهجية تنطلق من هؤلاء الأفراد أنفسهم، من تصوراتهم وأفكارهم ومن مختلف التقنيات والطرق والاستراتيجيات التي يطورونها في حياتهم، [2] هذا الذي يختلف عن المنهجية التقليدية في صورتها الوضعية التي تقصي الفرد في التحليل انتصارا لموضوعية الطرح.

تقنيات البحث الميداني:

إذا كانت المعلومات التي تثار حول الشعوب تعتمد على طرق غير علمية (أي لا تعتمد على المنهج العلمي) قبل نهاية القرن التاسع عشر نتيجة الاعتماد على ما يقرره الرحالة والتجار والعسكريون. .الخ، فإنها اتخذت بعد ذلك سبيلا آخر من خلال الدراسة الميدانية للجماعات والشعوب وتطبيق بعض الطرائق العلمية، ولعل أحد أهم الشروط العلمية في الدراسة الانثروبولوجية هو حتمية نزول الباحث غلى الميدانوا إقامة ملاحظاته عن ثقافة ونظم المجتمعات المدروسة بشكل مباشر، ولعل أول دراسة ميدانية في هذا العلم حسب بعض الكتابات " هي دراسة بعثة جامعة كمبردج لمنطقة مضايق – توريس- في المحيط الهادي في عامي 1898 و 1899، ورأس

---

[1] - رابح كعباش – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصال – جامعة قسنطينة – الجزائر – 2007- ص 203-204.

[2] - **نفس المرجع** – ص 204- 205.

العلامة الانجليزي – هادون- تلك البعثة " [1]، رغم أن البعض الآخر يتحدث عن تلك الدراسات التي قام بها " فرانز بواس " عن " الإسكيمو " بين عامي 1883و 1884، وقد توالت الدراسات على هذا النحو فكانت هناك دراسات ذات قيمة كبيرة لعل أهمها دراسة مالينوفسكي عن قبائل " التروبرياند والتي دامت أربع سنوات (1914- 1918)، حيث كانت هذه الدراسة الأولى التي استخدمت فيها لغة الأهالي وتم من خلالها تقمص طريقة عيشهم وممارسة عاداتهم الاجتماعية. [2] وبعد هذا فإن أهم الطرق المستخدمة على وجه العموم في البحث الأنثروبولوجي هي :

1- الملاحظة بالمشاركة :

وتشير إلى مشاركة الباحث في مختلف النشاطات التي يمارسها أعضاء الجماعة المدروسة، فيتعلم الباحث خلال عيشه وسط هذه الجماعة اللغة التي يتكلمون بها، ويمارس ما يمارسون من نشاطات وعادات، ويلبس نفس اللباس الذي يلبسون، ويحاول أن يبدي السلوكات والتصرفات نفسها التي يسلكونها في حياتهم اليومية، وهذا حتى يكون قريبا منهم فيسهل عليه فهم نمط معيشتهم وتفكيرهم من جهة، وتسهل عليه أيضا تحصيل المعلومات الخاصة بالدراسة، خاصة إذا استطاع أن يشعرهم أنه قريب منهم بما يزيد من ثقتهم به مما يسهل عملية الحصول على المعلومات. [3]

وحسب إيفانز بريتشارد فإن إحدى شروط الملاحظة بالمشاركة أن يقيم الباحث بين الجماعة المدروسة مدة لاتقل عن سنة، يتعلم خلالها لغتهم ويشترك في معظم جوانب حياتهم، كما على الباحث أن يتخلى خلال الدراسة عن قيمه وثقافته قدر المستطاع بغرض تحقيق قدر من الموضوعية، إضافة إلى ضرورة توفر الباحث على نوع من المقدرة على تحمل مشاق العيش وسط الجماعات البدائية. [4]

---

[1] - عاطف وصفي – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – نفس المرجع – ص 284.
[2] - مصطفى عمر – **نفس المرجع** – ص 119.
[3] - عاطف وصفي – **الانثروبولوجيا الثقافية** – نفس المرجع – ص 284-285.
[4] - **نفس المرجع** – ص 286- 287.

2- المقابلة :

وتشير إلى ذلك الحوار اللفظي الذي يتم بين طرفين هما الباحث والمبحوث، حيث يقوم الباحث بتوجيه مجموعة من الأسئلة للمبحوث من أجل الإجابة عليها، ونجد في أدبيات منهجية البحث في العلوم الاجتماعية عموما أن المقابلة قسمان : موجهة وغير موجهة، غير أن النوع الأكثر استخداما في حقل الانثروبولوجيا هو " المقابلة غير الموجهة".

يتم استخدام المقابلة غبر "الموجهة " من خلال مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع الذين لهم سمعة طيبة والذين لهم خبرة بموضوع البحث، ولهم أيضا اتصال بهذا الموضوع، ويشترط في الباحث أن يعمل على كسب ثقة المبحوثين من أجل الإدلاء بمعلومات غير مزيفة عن الواقع المدروس - وتعرف هذه الطريقة أيضا والتي يتم فيها استخدام أهل الخبرة في معرفة الواقع المدروس بطريقة " الاعتماد على الإخباريين" -، وعليه ألا يعمل على توجيه الإجابة نحو وجهة معينة، ويمكن للباحث استخدام آلات التسجيل بشرط أن يكون قد كسب ثقة المبحوثين، أما إذا أحس أنه لم يكسب ثقتهم بعد فعليه تسجيل الملومات بطريقة لا تثير الشك. [1]

أما عن طريقة المقابلة الموجهة والتي يتم خلالها تحديد مجموعة من الأسئلة في استمارة بحث فإنها نادرة الاستخدام في الدراسات الانثروبولوجية، وهي لاتتناسب مع طبيعة هذه الدراسات لاتصال هذه الأخيرة أكثر بالمجتمعات البدائية التي لا يعرف بعضها القراءة والكتابة من جهة، والتي لم تتعود على مثل هذه الطرق من جهة ثانية، لذلك فإن المقابلة الموجهة هي أكثر اتصالا ببحوث علم الاجتماع الذي يعنى بشكل خاص بالمجتمعات المتمدينة. [2]

3- سيرة الحياة :

تستخدم سيرة الحياة بشكل كبير خلال الدراسات الأنثروبولوجية، وسيرة الحياة تعبر عن اتجاه الباحث نحو شخص معين غالبا ما تكون له خبرة ودراية بمجتمع الدراسة طالبا منه أن يروي له قصة أو سيرة حياته، غير أن هذه القصة (السيرة – التاريخ) لا تخص شخص الراوي فقط،

---

[1] - **نفس المرجع**- ص 289.
[2] - **نفس المرجع** – ص 290.

ولكن هذا الراوي مدخل لفهم الجماعة التي ينتمي إليها، فهدف سيرة الحياة إذا هو إعادة بناء الواقع الاجتماعي من خلال " قصة أو ترجمة حياة عدة أشخاص بطلها واحد، لأن المترجمين يعملون على مفصلة واقع حياة شخصية داخل محيط اجتماعي معين، وذلك من وجهة نظر شخصية غالبا ما تكون غير بريئة ولا تامة، فقد تتعدد رواياتها من زمن لآخر، كما قد تتعدد فهومها وتأويلاتها" [1]، وذلك ما يدفع الباحث أن يكون حريصا أكثر في التعامل مع رواية الرواة من خلال بعض التقنيات مثل إعادة المقابلة مع الراوي بعد فترة زمنية أو مقابلة أشخاص آخرين والرجوع لبعض الوثائق إن أمكن ذلك.

وباعتبار سيرة الحياة نوعا من أنواع المقابلة فإنها تخضع لنفس شروط المقابلة من حيث ضرورة توفير الباحث للجو الملائم للمقابلة من خلال بناء الثقة بينه وبين المبحوث، والتصرف بمرونة حتى يتسنى له الحصول على المعلومات اللازمة.

4- الاختبارات النفسية :

ويستخدم الأنثروبولوجيون بعض الاختبارات النفسية خلال دراساتهم الميدانية من أجل تحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن هذه الاختبارات اختبار " رورشاخ" (نسبة إلى مخترعه السويسري هيرمان رورشاخ)، وهو يتكون من عشر لوحات، رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غير منتظم، ويطلب من الشخص أن يصف ما يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وبناء على هذا يمكن التوصل لتحديد بعض خصائص شخصية الفرد، وتستخدم هذه الطريقة خاصة في مجال الانثروبولوجيا الثقافية وخاصة لدى المهتمين بالعلاقة بين الثقافة والشخصية. [2]

وأخيرا فإن هناك بعض الطرائق الأخرى التي يمكن أن يستعين بها الباحث الانثروبولوجي مثل الملاحظة غير المباشرة من خلال الاعتماد على الوثائق ومختلف الطرائق الدالة على ثقافة

---

[1] - فضيل دليو – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع – ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999- ص205.

[2] - عاطف وصفي – **الانثروبولوجيا الثقافية –** نفس المرجع – ص 291.

الجماعة المدروسة، لتكون جنبا إلى جنب مع الملاحظة بالمشاركة باعتبارها ملاحظة مباشرة، كما يمكن الإشارة إلى بعض الطرق الأخرى التي يمكن استخدامها في الحقل الانثروبولوجي مثل طريقة " الحالة الفرضية" التي تشير إلى وضع الباحث لافتراضات حول بعض المظاهر التي لا تظهر في الحالات العادية والسعي للتحقق منها في الميدان.

خاتمة :

حاولنا من خلال العناصر السابقة أن نوضح بعض المعالم الأساسية لعلم الإنسان وما يتميز به من خصائص تؤهله لأن يكون جديرا بالاهتمام، فلقد أسدى هذا العلم فوائدة كبيرة للحقل الأكاديمي من خلال تطوير بعض النظريات والمناهج والتقنيات البحثية، ويمكن أن نتحدث هنا على سبيل المثال عن التحليل على الطريقة البنيوية أو استخدام منهج السيرة والتعمق في استخدام الملاحظة بالمشاركة. .الخ، بالقدر الذي أسدى فيه هذا العلم أيضا فوائد من الناحية المجتمعية من خلال العمل على تكوين معرفة بالشعوب في ثقافتها ونمط معيشتها وطرق تفكيرها ووسائل عيشها. .الخ.

ورغم أن بعض الأصوات نادت بضرورة التخلي عن الأنثروبولوجيا بدعوى أنها علم استعماري رافق حملات الاستعمار الغربي على البلدان الأخرى، إلا أن هذا الطرح سرعان ما أثبت عدم مصداقيته نظرا لبروز العديد من الموضوعات والقضايا بعد انجلاء الاستعمار الغربي تحتاج إلى دراسة وتعمق، وخاصة الموضوعات المتصلة بالجوانب الثقافية والأخلاقية والتي تعتبر حجر الأساس في عملية التنمية.

قائمة المر اجع:

أ- كتب :

1. أبو طالب محمد نجيب - **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان - 2002 .
2. إيركسون توماس هايلاند و نيلسون فين سيفرت – **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية** – ترجمة لاهاي حسين –منشورات ضفاف ، العراق –والاختلاف ، الجزائر – ط 1 - 2013 .
3. بريتشارد إيفانز – **الإناسة المجتمعية – ديانة البدائيين في نظريات الأناسين** – ترجمة حسن قبيسي – دار الحداثة – بيروت – لبنان – ط1- 1986.
4. جعفر عبد الوهاب– **البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها**- دار المعارف – الاسكندرية – 1980.
5. الجوهري محمد وآخرون – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع والمنهج** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 2004.
6. حمدان محمد زياد:**الثقافات الاجتماعية المعاصرة** – دار التربية الحديثة – عمان ، الأردن – 1989.
7. خروف حميد و جصاص الربيع – **علم اجتماع الثقافة** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة -2003.
8. الخوري فؤاد إسحاق - **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون** - دار الساقي - بيروت - لبنان - 1992.
9. دليو فضيل – المنهج البيوغرافي : استعمال السير الذاتية والحياتية في علم الاجتماع – ضمن كتاب جماعي بعنوان: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية** – منشورات جامعة منتوري – قسنطينة – 1999.
10. الساعاتي سامية حسن – **الثقافة والشخصية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط2- 1983.

11.سرحان محمد المرسي: **في اجتماعيات التربية** – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت ، لبنان – ط3 – 1981.

12.السويدي محمد – **مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته** – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1 – 1991.

13.الشماس عيسى– **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق - 2004.

14.عمر مصطفى – إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا – ضمن كتاب جماعي بعنوان : **قضايا العلوم الانسانية ، إشكالية المنهج** – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – دون سنة نشر.

15.عيد بدر يحي مرسي– **أصول علم الإنسان – الأنثروبولوجيا** –ج1- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط1 -2007.

16. فهيم حسين – **قصة الأنثروبولوجيا** ، فصول في تاريخ علم الإنسان – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- عدد98 فبراير 1986.

17.كعباش رابح – **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع** – مخبر علم اجتماع الاتصال – جامعة قسنطينة – الجزائر – 2007.

18.لبيب الطاهر – **سوسيولوجيا الثقافة** – دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – سوريا – ط3- 1987.

19.لكلرك جيرار - **الأنثروبولوجيا والاستعمار** - ترجمة جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط2-1990.

20.لوكا فيليب و فاتان جون كلود - **جزائر الأنثروبولوجيين ، نقد السوسيولوجياالكولونيالية** - ترجمة محمد يحياتن وبشير بولفراق ووردة لبنان - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال - الجزائر.

21.لومبار جاك – **مدخل إلى الإثنولوجيا** – ترجمة حسن قبيسي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط1- 1997.

22.لوي روبرت – **تاريخ الإثنولوجيا** – من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية – ترجمة نظير جاهل – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -والتوزيع - - بيروت- ط2- 2007.

23.ليفي ستروس كلود – **الأنثروبولوجيا البنيوية** – ترجمة مصطفى صالح –منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ج1- 1977.

24.محجوب محمد عبده – **الاتجاة السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع** – وكالة المطبوعات – الكويت – دون سنة نشر.

25.مصباح عامر – **علم الأنثروبولوجيا** – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2010.

26.مؤنس حسين – **الحضارة** – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – عدد1- 1978.

27.النجيحي محمد لبيب: **الأسس الاجتماعية للتربية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ط4 – 1971.

28.وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الثقافية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – 1971.

29.وصفي عاطف – **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت - لبنان – دون سنة نشر.

30.وقيدي محمد ، **العلوم الإنسانية والأيديولوجيا** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،2011.

ب- مجلات

1. مها كيال – "السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية "- مجلة الثقافة الشعبية - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – البحرين –عدد29- ربيع 2015.

ج- قواميس وموسوعات :

1. سميت شارلوت سيمور – **موسوعة علم الإنسان : المصطلحات والمفاهيم الأساسية** – ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط2- 2009.
2. شاكر سليم – **قاموس الأنثروبولوجيا (أنجليزي ، عربي)** – جامعة الكويت- ط1-1981

د - مواقع إلكترونية:

1. سعيدي محمد – **الانثروبولوجيا والتراث الشعبي في الجزائر** – جريدة السفير العربي اللبنانية – يوم 03-12-2015 - عدد 171.

الرابط : http://assafirarabi.com/ar/4440/2015/12/03/الأنثروبولوجيا-والتراث-الشعبي-في-الج/#